

مِنْ أَجْلِ تَقَاةٍ شِيعِيَّةٍ زَهْرَائِيَّةٍ أَصِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةٍ ثَقَافِيَّةٍ حُسَيْنِيَّةٍ زَهْرَائِيَّةٍ مُتَحَضِّرَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ مَهْدَوِيٍّ زَهْرَائِيٍّ رَاقٍ

بِرَنَامَج

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرَنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرَنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتُهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (23)

يَوْمَ السَّبْتِ

بِتَارِيخِ: 6 شَوَّالٍ 1438 هـ

الْمُوَافَقِ: 2017/7/1 م

يا زفراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَرْنَامَجْ قُرْآنُهُمْ

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الْجُزْءُ الْعَشْرُونَ)

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُرْآنُ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطْ وَفَقَطْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

وصلنا إلى الآية الخامسة والسبعين بعد المئة من سورة الأعراف، ولا زلنا في أجواء قِصص بني إسرائيل، هذه هي آخر قصة من قِصصهم في سورة الأعراف: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فَاقْصُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الخطاب لمن؟ الخطاب والحديث عن الذين كذبوا بآياتنا، بنحو خاص، بنحو عام، الخطاب لنا جميعاً، كُلُّنا بحاجة أن نتفكر في هذه الدنيا وفي تأريخها وأن نتدبر في آيات الكتاب الكريم، كما يقول سيد الأوصياء: (أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ، أَلَا لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ) نحن بحاجة إلى تفهم وتدبر وتفكير، فالقرآن علم وقراءة وعبادة في نفس الوقت، حين نتواصل مع القرآن الكريم إننا نتواصل مع مصدر علمي هو في أعلى درجات العلم بالنسبة لنا على الأقل، وإنني أتحدث عن علم يوصل ما بين عالم الشهادة والغيب، فالقرآن حين نتواصل معه نتواصل مع علم ومع قراءة، وفي نفس الوقت عبادة من أفضل أنواع العبادات، هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يوجهوننا ويأمروننا أن نعرف أمرهم من القرآن: (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ أَمْرَنَا مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَتَنَكَّبِ الْفِتَنَ) سيعثر فيها، سيضيع فيما بينها.

أعودُ إلى هذه القصة التي بين أيدينا:

إنها قصة شخصية معروفة في أجوائنا الثقافية الدينية: بلعم بن باعورا، من علماء بني إسرائيل، من علمائهم الذين بلغوا مراتب عالية، جاء في أحاديثنا من (أنه بلغ إلى مرتبة الاسم الأعظم في علمه، ممن نال هذه المرتبة وسَمَت رُوحَهُ إلى الحدِّ الَّذِي كَانَ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ، فإذا ما دعا بدعوة فإنَّ دُعَاءَهُ يُسْتَجَابُ، ولكنه سَقَطَ وَهُوَ).

وقبل أن ندخل في تفاصيل القصة، العبرة أين؟ العبرة من كلِّ هذا، العبرة من كلِّ هذه الوقائع التي مرت ومن هذه الواقعة؟

العبرة في نقطة موجزة واحدة: الجهة الكاملة التي لا خلل فيها سابقاً، ولا خلل فيها لاحقاً، الجهة الإلهية التي هي هي، لا تماثلها جهة، ولا تقاربها جهة، ولا يمكن أن تُقاس بها جهة، الناحية المقدسة لمن؟ للجهة بن الحسن فقط إمام زماننا، هذه عقيدتنا على الأقل، الآخرون يعتقدون ما يعتقدون، نحن نجد نجاتنا في هذه الجهة فقط، كل من ينتمي إليه بأي نحو من أنحاء الانتماء، انتماء صادق، انتماء كاذب، انتماء عقائدي، انتماء اجتماعي، أي لون من ألوان الانتماء، الناس أحرار في أن يختاروا أي لون من ألوان الانتماء وينسبوا أنفسهم إلى إمام زماننا، برغم كل ذلك ليس هناك من طرف أو جهة لها قيمة من حيث هي هي، أي جهة ما دامت على ارتباط بإمام زماننا بالنحو الذي يريده إمام زماننا جهة آمنة مأمونة، وقيمتها عرضية، لا تمتلك قيمة ذاتية، القيمة الذاتية فقط لإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، ولذا الجميع معرضون للسقوط.

هذا بلعم بن باعورا، عالم من كبار علماء بني إسرائيل، وممن بلغ إلى مرتبة الاسم الأعظم، بلغ علمه إلى هذه المرتبة العالية، لو كان هناك من متسع من الوقت لحدثتكم مستعينةً بالآيات والروايات عن معنى علم الاسم الأعظم الذي بلغ إليه بلعم بن باعورا، لكن الوقت وقت محدود، لذا سأمر على القصة بنحو مجمل كي نستمر مع آيات سورة الأعراف محاولاً أن أنهى الكلام في آخر آية في هذه الحلقة من آيات سورة الأعراف.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ آياتنا الاسم الأعظم، آياتنا في أعلى مراتبها الآيات العظمى، والآيات العظمى تجليات الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي خلقه جلت قدرته وتعالى شأنه وتقدس، الذي خلقه فاستقر في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره، ذاك هو الاسم الأعظم الأعظم الأعزّ الأجلّ الأكرم، هكذا يوصف في أدعيتهم وفي كلماتهم الشريفة، والآيات العظمى هي مجالي ذلك الاسم، وكل الآيات التي تجلّت في الوجود هي في سلسلة الآيات العظمى، على رأس السلسلة: الآيات العظمى، فهذا بلعم بن باعورا قطعاً بحسبه، بمقداره، بمرتبة عقله، من حيث هو هو بلغ إلى علم الاسم الأعظم بحسب رتبته، بلوغه إلى علم الاسم الأعظم لا يعني أنه صار عالماً بحقيقة الاسم الأعظم، أبداً، إنما هي معارف وعلوم تتجلى من طبقة من طبقات سلسلة الآيات، فإن الأنبياء الذين هم أعلى رتبة وأعلى منزلة من بلعم بن باعورا لن يصل علمهم إلى مشارف الآيات العظمى التي هي مجالي الاسم الأعظم، وإنما يتجلى ما يتجلى لنا، للناس، لبلعم بن باعورا ولغيره، يتجلى للناس بقدرهم، بما هم عليه، كما يقول سيد الأوصياء لكميل: (القلوب أوعية وخيرها أوعاها) خيرها أوعاها؛ خيرها أكبرها، فهناك الأكبر، وهناك أكبر من شيء، وهناك الكبير، وهناك الصغير، وهناك أصغر من شيء، وهناك الأصغر، وهكذا، فهكذا هي التجليات، التجليات لا حصر لها، وإنما القلوب تغترف بحسب ما تستطيع أن تعي من هذا البحر الذي تسبح فيه الموجودات، بحر الحقيقة، حيث تسبح الكائنات وتُسبح في هذه المساحات الواسعة من سواحل هذا البحر ومن أعماقه، وإننا نحمل قلوبنا أوعية نغترف من هذا البحر بقدر ما تستوعب تلك القلوب، وهذا شأن بلعم كما شأن غيره، لكنه بلغ ما بلغ بالقياس لغيره من أمثاله.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ الحديث في أجواء محمد وآل محمد، لذا إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه يقول لسليمان اللبان: **أُتَدْرِى مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ؟** من هو المغيرة بن سعيد؟ أنا أقرأ عليكم الآن من الجزء الثالث عشر من (بحار الأنوار، طبعة دار إحياء التراث العربي، الرواية في الصفحة (379) الرواية الثالثة:

عَنْ سَلِيمَانَ اللَّبَّانِ، الْإِمَامِ الْبَاقِرِ يَقُولُ لَهُ: أَتَدْرِي مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: مَثَلُهُ مَثَلُ بَلْعَمِ الَّذِي أُوتِيَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ: (آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) الْإِمَامُ هُنَا لَا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ مِمَّنْ أُوتِيَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ، قَالَ: مَثَلُهُ، مَا قَالَ: هُوَ مَثَلُ بَلْعَمِ بْنِ بَاعُورَا، قَالَ: مَثَلُهُ، هُنَاكَ وَجْهُ لِلْمُشَابَهَةِ، مَثَلًا يَقَالُ: الْأَمْثَلَةُ تُضْرَبُ وَلَا تُقَاسُ، لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا، مَنْ هُوَ الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ؟ الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْأُئِمَّةِ مِنْ أَشْيَاعِهِمْ، كَانَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَاءِ أَصْحَابِ الْأُئِمَّةِ، عَارِفًا بِآلِ مُحَمَّدٍ، مُوَالِيًا لَهُمْ، مُحِبًّا شَدِيدَ الْحُبِّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَلَكِنَّهُ ضَلَّ وَسَقَطَ وَهَوَى، أَنَا هُنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ، فَقَطْ نَأْخُذُ هَذِهِ اللَّقْطَةَ: الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ كَانَ مِنْ أَشْيَاعِهِمُ الْعَارِفِينَ الْمُخْلِصِينَ وَالْمُحِبِّينَ، لَكِنَّهُ سَقَطَ فِي مَتَاهَةِ السَّبْيَةِ.

الانحرافُ الباطني بدأ منذ أيام أمير المؤمنين على يد عبد الله بن سبأ، لا شأن لي بمراجعنا وعلمائنا الذين ينكرون هذه الشخصية، لا شأن لي بأقوالهم، أقوالهم في عقيدتي هراء، لأنَّ الأئمةَ حدَّثونا عن هذه الشخصية، وآثارها لا زالت موجودةً إلى يومنا هذا، فما النصيريةُ التي تنتشر في تركيا وفي بلاد الشام وكذلك في العراق وفي إيران وفي مناطق أخرى إلَّا من آثار عبد الله بن سبأ، السَّبْيَةُ تطوَّرت فنشأت منها الخطابيةُ، المغيرةُ بن سَعِيدٍ هذا هو أيضاً أنشأ مجموعةً كالمجموعة الخطابية، هم خطابيون أيضاً، صحيح عُرِفوا بالمغيرية والمغيرية خطابية، والخطابية سبئية، كلُّ هذه المجموعات تعودُ إلى أصلٍ واحدٍ شيطانيٍّ، لكنَّ الأئمةَ ركَّزوا على هذا العنوان: (الخطابية) لِقَبَاحَةِ هَؤُلَاءِ وَلِقَدَارَتِهِمْ، وَإِلَّا فَالْمَغِيرَةُ هُمْ خَطَابِيَّةٌ أَيْضاً، عَلَى نَفْسِ الْمَنْهَجِ، فَأَبُو الْخَطَّابِ بْنُ أَبِي زَيْنَبٍ الْأَجْدَعُ كَانَ أَيْضاً مِنْ أَشْيَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمِنَ الْمُخْلِصِينَ وَلَكِنْ هُوَ وَسَقَطَ، وَكَذَا الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ، الْمُغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ كَانَ مِنْ أَكْذَابِ الْكَذَّابِينَ عَلَى الْإِمَامِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ، لَقَدْ كَذَّبَ وَكَذَّبَ وَكَذَّبَ، وَأَصْحَابُهُ كَذَلِكَ.

مِنْ هُنَا إِمَامُنَا الْبَاقِرُ يَقُولُ لِسَلِيمَانَ اللَّبَّانِ: أَتَدْرِي مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ؟ قَالَ قُلْتُ: لَا، قَالَ: مَثَلُهُ مَثَلُ بَلْعَمِ الَّذِي أُوتِيَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ، وَبَعْدَ ذَلِكَ وَقَعَ فِي أَحْضَانِ الشَّيْطَانِ، سَتَاتِنَا قِصَّةُ بَلْعَمِ، وَجْهُ الْمُشَابَهَةِ بَيْنَ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ وَبَلْعَمِ بْنِ بَاعُورَا: (الْعِلْمُ، هَذَا عَالِمٌ وَهَذَا عَالِمٌ، هَذَا مُحِبٌّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَهَذَا مُحِبٌّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، بَلْعَمٌ أَيْضاً).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ آيَاتُ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ هُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، هَذَا مُحِبٌّ وَهَذَا مُحِبٌّ، وَلَكِنَّ الْاِثْنَيْنِ سَيَطِرُ عَلَيْهِمَا الشَّيْطَانُ، فَهَذَا عَاقِبَتُهُ الْخُسْرَانُ وَهَذَا عَاقِبَتُهُ الْخُسْرَانُ، وَبَلْعَمُ بْنُ بَاعُورَا أَشَاعَ الْمَفَاسِدَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَتَاتِي حِكَايَتُهُ، أَشَاعَ الزُّنَا، أَشَاعَ الْمَفَاسِدَ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ وَأَبُو الْخَطَّابِ كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ أَبَاحُوا الزُّنَا وَأَبَاحُوا اللَّوَاطِ وَأَبَاحُوا الْمَفَاسِدَ كُلَّهَا، فَمِنْ هُنَا قَالَ إِمَامُنَا الْبَاقِرُ مِنْ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ سَعِيدٍ مَثَلُهُ مَثَلُ بَلْعَمِ.

أَنَا جِئْتُ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ أَرَدْتُ أَنْ أُلْفِتَ أَنْظَارَكُمْ إِلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ:

- أَوَّلًا: أَنَّ قِصَّةَ بَلْعَمِ تَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، فِي زَمَانِنَا هَذَا الْيَوْمَ وَحَتَّى بَعْدَ زَمَانِنَا هَذَا.
- وَأَرَدْتُ أَيْضاً أَنْ أُلْفِتَ أَنْظَارَكُمْ إِلَى أَنَّ الْمَصْدَرَ الْأَصْلَ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ، الْآنَ أَنَا قَرَأْتُ مِنَ الْجُزْءِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لَاحِظُوا الطَّبْعَةَ الْحَدِيثَةَ لِتَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ، أَسَاساً هُوَ نَقْلُ الرِّوَايَةِ عَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ،

هذه الطبعة التي بين يدي وهذا هو الجزء الثاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، هذه الطبعة بمقدمة صاحب الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله عليه، الصفحة (45) رقم الرواية (118) عَنْ سَلِيمَانَ اللَّبَّانِ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ -لاحظوا التحريف- أَتَدْرِي مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ؟ -المغيرة بن شُعْبَةَ أساساً ما دخل الإيمان في قلبه، الرواية في النسخ الأصلية- المغيرة بن سعيد، ولكن يبدو أن أتباع المغيرة بن سعيد لا زالوا موجودين بيننا، الروايات عندنا من أن أتباع المغيرة بن سعيد كانوا يأخذون كتب أصحاب أبي جعفر وكتب أصحاب أبي عبد الله ويدسون فيها الأكاذيب ويحرفون الروايات، فيبدو أن أتباع المغيرة بن سعيد لا زالوا بيننا، المغيرة بن شُعْبَةَ متى دخل الإيمان في قلبه؟! الحوار الذي يذكره الطبرسي الذي دار في مجلس معاوية، الإمام الحسن السبط ماذا قال للمغيرة بن شُعْبَةَ؟ قال له: (أَنْتَ الَّذِي ضَرَبْتَ فَاطِمَةَ حَتَّى أَذْمَيْتَهَا عَدَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا دَخَلَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ؟! فالحديث عن المغيرة بن سعيد، قطعاً النسخ القديمة من تفسير العياشي موجود فيها هذا، وصاحب البحار نقل عن مصادر قديمة موجودة في زمانه، صاحب البحار توفي سنة (1111) للهجرة، فالمصادر التي كانت موجودة بين يديه كانت أصح وأدق من النسخ التي تتوفر الآن، كان الأخرى بهذه الجهات التي تحقّق أن تدقّق في النصوص، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَتَدْرِي مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ؟ في النسخ الأصلية: مَا مَثَلُ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ، فموجود هنا: المغيرة بن شُعْبَةَ، وفي الحاشية هناك شرح عن حياته، هذا يثبت اسمه أكثر فأكثر، يعني القارئ حين يقرأ فيجد اسم المغيرة موجود ثم بعد ذلك ينتقل إلى الحاشية والحاشية يكتب فيها سيرة المغيرة بن شُعْبَةَ توضيحاً عن هذه الشخصية، بينما أصل الرواية: المغيرة بن سعيد.

أنا جئت بهذا مثلاً حتى تعرفوا حينما أقول من أن كتب الحديث تعرضت للتحريف، حتى تعرفوا معنى قولي الذي أكرره في برامجي من أن كتب الحديث تعرضت للتحريف المتعمد وللتصحيح، التصحيح تحريف ولكن ليس متعمداً.

فإذاً حينما يحدثنا القرآن عن قصص بني إسرائيل أو عن قصص غيرهم إنه يحدثنا عن قصصنا، عن واقعنا، فبلعلم في زمان موسى، والمغيرة بن سعيد وأبو الخطاب في زمان الباقر والصادق، وهكذا تستمر الأمور إلى يومنا هذا وبعد يومنا هذا.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾.

بلعلم بن باعورا عالم من كبار علماء بني إسرائيل، كان مستقيماً في أول أمره لكنه شيئاً فشيئاً مال إلى فرعون، فهو من أتباع موسى وكان يعيش في مصر، من بني إسرائيل في زمان موسى حينما كان الإسرائيليون في مصر، وعاش أيام المواجهة بين موسى وفرعون، ولكنه مال إلى فرعون، ما عندنا تفاصيل في رواياتنا تتحدث عن السبب الذي جعله يميل إلى فرعون ولكن قطعاً هي الدنيا، والقرآن هنا يتحدث أنه أتبع هواه، ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه، مال إلى فرعون، من خلال المعطيات المتوفرة بين أيدينا فإنه لم يخرج مع قومه حين خرجوا، بقي في مصر،

لَمَّا خَرَجَ مُوسَى لَمْ يَخْرُجْ مَعَ مُوسَى وَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَ عَالِمًا كَبِيرًا وَكَانَ مَعْرُوفًا عَنْهُ أَنَّ دَعْوَتَهُ تُسْتَجَابُ، فَلَمَّا خَرَجَ مُوسَى مَعَ قَوْمِهِ وَانْتَشَرَ الْخَبَرُ وَأَرَادَ فِرْعَوْنُ أَنْ يُجَهِّزَ الْجَيْشَ كِي يُلْحِقَ بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ طَلَبَ مِنْ بَلْعَمَ، وَهَذَا شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ، الْحُكُومَاتُ تَطْلُبُ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ كِي يُؤَيِّدُوا مَشَارِيعَهَا، كِي يُؤَيِّدُوا مَا هُمْ عَازِمُونَ عَلَيْهِ، خُصُوصًا فِي عَمَلِيَّةِ الْمُوَاجَهَةِ مَعَ الْحَقِّ، هَذِهِ قَضِيَّةٌ عَلَى طُولِ التَّارِيخِ، فَطَلَبَ مِنْ بَلْعَمَ بِاعْتِبَارِ هُوَ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى، قَطْعًا لَا مَعْنَى لِهَذَا الْأَمْرَ وَلَكِنْ فِرْعَوْنُ يُرِيدُ أَنْ يَرِي النَّاسَ مِنْ أَنَّ بَلْعَمَ هَذَا الَّذِي هُمْ يَقْدُسُونَهُ عَلَى الْأَقْلَ فِي أَجْوَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعُرِفَ عَنْهُ الصَّلَاحُ سَيَدَعُوَ عَلَى مُوسَى وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمُوسَى، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوْقِفَ مُوسَى لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا مِنْ وَجْهَةِ النَّظَرِ الدِّينِيَّةِ، الْبَرْنَامَجُ هُوَ الْبَرْنَامَجُ التَّكْرَارِي فِي أَزْمَنَةِ الطَّغَاةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى جَبَلٍ، لِمَاذَا يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى جَبَلٍ؟ كِي يَرَاهُ النَّاسُ وَإِلَّا إِذَا كَانَتْ دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةً فَيُمْكِنُ أَنْ يَدْعُوَ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى جَبَلٍ كِي يَصْعَدَ عَلَى الْجَبَلِ وَيَدْعُو، تَوَجَّهَ إِلَى حِمَارَتِهِ، تَوَجَّهَ إِلَى الْحِمَارِ كِي يَرْكَبَ حِمَارَتَهُ فَتَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ حِمَارَتُهُ، كَلَّمَا حَاوَلَ أَنْ يَرْكَبَهَا مَا اسْتَطَاعَ، تَمَنَّعَتْ عَلَيْهِ، اسْتَعْصَتْ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ بِضَرْبِهَا، بَدَأَ يَضْرِبُ حِمَارَتَهُ، فَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى حِمَارَتَهُ، قَالَتْ لَهُ: وَيْلَكَ لِمَاذَا تُضْرِبُنِي؟ أَتُرِيدُ مِنِّي أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، أَنْ تَرْكَبُنِي وَأَنْ أَذْهَبَ بِكَ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تَدْعُوَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَعَهُ؟! فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا فَضَرْبَهَا ضَرْبًا حَتَّى قَتَلَهَا، حَتَّى قَتَلَ حِمَارَتَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى مُوسَى النَّبِيِّ وَمَنْ مَعَهُ أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّهُ: كَانَتْ الْكَلِمَاتُ تَخْرُجُ مِنْهُ دُعَاءَ لِمُوسَى وَلِمَنْ مَعَهُ، وَدُعَاءَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعِهِ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ انْسَلَخَتْ الْآيَاتُ وَالْمَعَارِفُ مِنْهُ، وَانْقَلَبَتْ حَالُهُ إِلَى الْحُضِيضِ وَإِلَى السَّقُوطِ، فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ هَوَى بَلْعَمُ بْنُ بَاعُورًا مِنْ حَيْثُ كَانَ شَامِخًا فِي مَنْزِلَةِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، فَلَقَدْ مَالَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَدْ طَمَعَ فِي أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَكُونُ فِي جَوَارِ فِرْعَوْنَ.

قَطْعًا هَذِهِ الْحِكَايَةُ وَهَذِهِ الْقِصَّةُ جَاءَتْ مُجْمَلَةً، لِأَبَدٍ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي مَا وَصَلَتْ إِلَيْنَا، فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ضَاعَتْ، فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ الَّتِي حَرَقَتْ، فِي تَفْسِيرِ إِمَامِنَا الْعَسْكَرِيِّ لِأَبَدٍ أَنَّ الْإِمَامَ فَصَلَ الْقَوْلَ فِيهَا مِثْلَمَا فَصَلَ الْقَوْلَ فِي سَائِرِ الْمَطَالِبِ الْآخَرَى وَلَكِنْ ضَاعَتْ الْأَحَادِيثُ.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ هُوَ انْسَلَخَ، هُوَ انْسَلَخَ مِنْهَا، التَّعْبِيرُ دَقِيقٌ، يُمْكِنُ أَنْ أَقُولَ: فَانْسَلَخَتْ الْآيَاتُ مِنْهُ، وَلَكِنْ هَذَا التَّعْبِيرُ مَا هُوَ بِدَقِيقٍ، هُوَ الَّذِي انْسَلَخَ عَنِ الْآيَاتِ، الْآيَاتُ ثَابِتَةٌ، هُوَ الْمَتَحَرِّكُ، الْآيَاتُ مُسْتَقَرَّةٌ، هُوَ الْمُضْطَرَبُ الْقَلْقُ.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ -فَمَاذَا جَرَى بَعْدَ ذَلِكَ؟- فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ -الْعِبَارَةُ دَقِيقَةٌ جَدًّا: أَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ، يَعْنِي أَنَّ الشَّيْطَانَ جَعَلَهُ تَابِعًا لَهُ- فَأَتْبَعَهُ -أَتْبَعَهُ- فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ -الشَّيْطَانُ هُنَا فَاعِلٌ، وَالْفِعْلُ جَاءَ مَبْدُوءًا بِالْهَمْزَةِ مَزِيدًا، هَذَا فِعْلٌ مَزِيدٌ، لِأَنَّ الْفِعْلَ فِي أَصْلِهِ تَبَعَ- فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ -يعني فجعله الشَّيْطَانُ تَابِعًا لَهُ- فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ مِنَ الْغَاوِينَ الَّذِينَ غَوَاهُمُ الشَّيْطَانُ، غَوَاهُمْ؛ أَخَذَهُمْ إِلَى جِهَةِ الْغِي.

مَرَّتْ عَلَيْنَا الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا تَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، عَنْ حَقِيقَةِ الرِّشْدِ وَالْغِيِّ، فَالسُّورَةُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا حَتَّى الْآيَاتِ الْمَتَّبِقِيَّةِ تَرْسُمُ لَنَا خَطِّينَ:

- خطّ عنوانه الرّشد.

- وخطّ عنوانه الغي، الغي والغواية.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

مثالٌ لعالمٍ كبيرٍ بلغ ما بلغ ثمّ هوى وبعد أن هوى صار تابعاً للشيطان، صار الشيطان هو الذي يوجهه ويقوده، هنا حين ينطقُ ينطقُ عن الله أم ينطقُ عن الشيطان؟! مثلما يحدثنا أمير المؤمنين عن أصحابِ الجمل وعن الذين عادوا علياً، الذين ناصبوا علياً العداء على طول التاريخ، الشيطانُ باضَ وقرّخ في صدورهم، هكذا وصفهم أمير المؤمنين: (الشيطان باضَ وقرّخ في صدورهم ودبّ ودرج في حجورهم - في الحجر؛ في أحضانهم - باضَ وقرّخ في صدورهم ودبّ ودرج - الشيطان - في حجورهم، نطقَ بالسنتهم ونظرَ بأعينهم، فمن استمعَ ومن أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطقُ ينطقُ عن الشيطان فقد عبدَ الشيطان، وإن كان الناطقُ ينطقُ عن الله فقد عبد الله) وما من ناطقٍ ينطقُ عن الله غيرَ علي، لذا أرجعنا رسول الله في بيعة الغدير إلى علي، نأخذُ تفسير القرآن من علي، ونأخذُ الفهم من علي ومن علي ومن علي وحتى ينقطع النفس وبعد أن ينقطع النفس من علي.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ - الشيطانُ جعل منه تابعاً، الناسُ تقلّده وهو يقلّد الشيطان - فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ - هذه المشيئة الإلهية المطلقة - ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا، بأي شيء؟ بآياتنا، فإننا حين نريدُ أن نرتفع إمّا نرتفعُ بهم، حينما نريدُ أن نتطهر إنّنا نتطهر بولايتهم، هذه المضامين واضحة جداً في زياراتهم، في زيارة الصديقة الطاهرة أم الحسن والحسين: (لِنُبَشِّرْ أَنْفُسَنَا بِأَنَّ قَدْ طَهَّرْنَا بِوَلَايَتِكَ) إنّنا نرتفعُ بولايتها، ولا نرتفعُ حتّى نتطهر بولايتها.

نحنُ إذا ما ذهبنا نتبّعُ الآيات، على سبيل المثال في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ - في الآية الثالثة بعد العاشرة وما بعدها - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ * عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ إذا رجعنا إلى أحاديث أهل البيت في معنى الآيات الكبرى أو في معنى الكبر الحديث هنا عن فاطمة، هذا ما هو بكلامي، هذا كلامهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ لماذا انسَلخ منها؟ لأبَد أن يكون قد صدرت منه إساءةٌ بنحوٍ من الأنحاء، نحنُ لا نعرفُ التفاصيل بدقّة، هو مال إلى فرعون، كيف مال إلى فرعون؟ (فَاطِمَةُ يَرْضَى اللَّهُ لِرِضَاهَا وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهَا) هذا هو الميزان، هذه الآيات يَرْضَى الله لِرِضَاهَا وَيَسْخَطُ لِسَخَطِهَا، فرعونٌ من أولياء هذه الآيات أو من أعدائها؟ حين مال إلى فرعون إنّه مال عن هذه الآيات، بأيّ نحوٍ من الأنحاء، حتّى لو أنّ الشيطان

خَدَعَهُ فَصَوَّرَ لَهُ مَصْلَحَةً مِنَ الْمَصَالِحِ، حَتَّى لَوْ أَلْبَسَهَا بِلِبَاسٍ دِينِيٍّ فَمَا لَإِ إِلَى أَعْدَاءِ هَذِهِ الْآيَاتِ، حِينَ مَالٍ إِلَى أَعْدَاءِ هَذِهِ الْآيَاتِ هُوَ انْسَلَخَ مِنَ الْآيَاتِ، (مَنْ وَصَلَكَ فَقَدْ وَصَلَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ قَطَعَكَ فَقَدْ قَطَعَ رَسُولَ اللَّهِ).

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ - جَعَلَهُ الشَّيْطَانُ تَابِعًا لَهُ - فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا - لَرَفَعْنَاهُ بِهِذِهِ الْآيَاتِ - وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ - هو يريد أن يلتصق بهذا التراب، أخلد إلى الأرض - وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴿ قلبه، باطنه مَيَّالٌ إلى هذا التراب، يريد أن يلتصق بهذه الدنيا وشؤوناتها، ليس بالضرورة أن يلتصق بالدنيا في وجهها المادي، علماء الدين الكبار منهم يبحثون عن الزعامة، قد يزهدون في الدنيا وفي مالها، لا يعني أنهم لا يجمعون الأموال، يجمعون الأموال لكنهم يزهدون في التمتع بها، فلا يتنعمون بما عندهم من الأموال حفاظاً على مناصبهم وعلى زعاماتهم، وهذه القضية تحدثت عنها الروايات بالتفاصيل، فهناك مَنْ يزهّد في الدنيا لأجل الدنيا، الأئمة يقولون لست أنا، يقولون: هناك مَنْ يزهّد في الدنيا لأجل الدنيا، (لولا الأذواق لبارت السلع) كُلُّ شَخْصٍ عِنْدَهُ مُوَازِينٌ لِلْمَتْعَةِ، هُمْ يَبْحَثُونَ عَنْ لَذَّةِ الرَّئِاسَةِ، كَمَا تُعْبَرُ عَنْهَا الرِّوَايَاتُ: (لَذَّةُ الرَّئِاسَةِ الْبَاطِلَةُ) فَلِلرَّئِاسَةِ لَذَّةٌ، وَلِلرَّئِاسَةِ وَهْجٌ، وَلِلرَّئِاسَةِ زَبَارِجٌ وَبَهَارِجٌ، تِلْكَ الزَّبَارِجُ وَالْبَهَارِجُ قَدْ تَتَجَلَّى فِي عَرْشٍ وَفِي تَاجٍ ذَهَبِيٍّ وَفِي كُرْسِيٍّ يَصْنَعُ مِنْ أَثْمَنِ الْأَخْشَابِ وَيَزِينُ بِأَعْلَى الْمَجُوهَرَاتِ، إِلَى بَقِيَّةِ التَّفَاصِيلِ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ هَذِهِ الزَّبَارِجُ وَالْبَهَارِجُ تَتَجَلَّى فِي ثَوْبٍ يَصْنَعُ مِنَ الصُّوفِ يَرْتَدِيهِ الصُّوفِيُّ وَشَيْخُ الطَّرِيقَةِ، وَيَمْسِكُ بَعْضًا لَا قِيَمَةَ لَهَا فِي السُّوقِ يَقْتَطِعُهَا مِنْ شَجَرَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا آخَرَ، وَلَكِنَّهُ يَسْعَى وَرَاءَ الدُّنْيَا، وَرَاءَ الزَّعَامَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي هِيَ دِينِيَّةٌ بَيْنَ النَّاسِ، وَهَكَذَا الْفُقَهَاءُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ الْفَقْهَ لِلدُّنْيَا، الْأَئِمَّةُ حَدَّثُونَا عَنْ ذَلِكَ، عَنْ فُقَهَاءِ شِيعَتِهِمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ: (يَطْلُبُونَ الْفَقْهَ لِلدُّنْيَا) نَحْنُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا جَمِيعًا، وَكُلُّنَا نَرْكُضُ وَرَاءَهَا، هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ مِنَ الْآخِرِ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا - بآياتنا - وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ هل مات بلعم بن باعورا؟ بقي بلعم بن باعورا إلى زمان يوشع، لم يلتحق ببني إسرائيل، بقي إلى زمان يوشع، فيوشع كان وصياً لموسى بعد وفاته، لأنَّ هَارُونَ تُوِّفِيَ فِي حَيَاةِ مُوسَى فَكَانَ الْوَصِيُّ مِنْ بَعْدِ مُوسَى هُوَ يُّوشَعَ، وَحَدَّثَتْ حُرُوبٌ وَقَدْ قَادَتْ الْجِيُوشَ عَلَى يُّوشَعَ مَنْ هِيَ؟ زَوْجُهُ مُوسَى الصَّفْرَاءُ أَوْ الصَّفِيرَاءُ، صَفُورًا فِي الثَّقَافَةِ الدِّينِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ، صَفُورًا إِنَّهَا الصَّفْرَاءُ أَوْ الصَّفِيرَاءُ، كَمَا هُوَ الْحَالُ عِنْدَنَا: (الْحَمْرَاءُ وَالْحَمِيرَاءُ) لَقَدْ قَادَتْ الصَّفْرَاءُ أَوْ الصَّفِيرَاءُ وَهِيَ بِنْتُ شُعَيْبِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا مُوسَى حِينَمَا ذَهَبَ إِلَى بِلَادِ شُعَيْبٍ، هِيَ بِنْتُ شُعَيْبِ قَادَتْ الْجِيُوشَ فِي حَرْبٍ وَفِي مُوَاجَهَةٍ مَعَ وَصِيِّ مُوسَى يُّوشَعَ، عَلَى أَيِّ حَالٍ لَيْسَ الْحَدِيثُ عَنْ هَذِهِ الْوَقَائِعِ، وَحَدَّثَتْ حُرُوبٌ فِيمَا بَيْنَ يُّوشَعَ وَبَيْنَ جَبَابِرَةٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَحَدُ الْجَبَابِرَةِ طَلَبَ مِنْ بَلْعَمِ بْنِ بَاعُورَا أَيْضًا أَنْ يَدْعُوَ عَلَى يُّوشَعَ، هُوَ قَدْ انْسَلَخَ، انْسَلَخَ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا زَالَتِ تَعْتَقِدُ بِهِ، وَحَتَّى لَوْ لَمْ تَعْتَقِدِ السُّلْطَةُ بِهِ فَإِنَّهَا تَنْتَفِعُ مِنْ مَظَاهِرِ رِجَالِ الدِّينِ وَمِنْ أَسْمَائِهِمْ وَأَلْقَابِهِمْ، فَمَاذَا قَالَ بَلْعَمُ لِهَذَا الْجَبَّارِ؟ قَالَ لَهُ: الدُّعَاءُ لَا يَنْفَعُ هُنَا، وَلَكِنَّكَ خُذْ بِنَصِيحَتِي، فَمَاذَا نَصَحَهُ؟ قَالَ: زَيْنُوا النِّسَاءَ وَانْشَرُوا النِّسَاءَ الْجَمِيلَةَ الْمَزِينَةَ فِي وَسْطِ أَتْبَاعِ يُّوشَعَ، فَإِنَّ الزَّنا سَيَنْتَشِرُ بَيْنَهُمْ، فَإِذَا مَا انْتَشَرَ الزَّنا حُلَّ الْهَلَاكُ بِهِمْ، وَفَعَلًا فَعَلُوا ذَلِكَ وَنَجَحَتْ خُطَّةُ بَلْعَمِ وَقَدْ هَلَكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَالْقِصَّةُ لَهَا تَفْصِيلٌ.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ هذا هو بلعم، مثلما نشر الزنا في أتباع يوشع الذي ردت له الشمس، هناك تشابه في الأحداث، ردت له الشمس أثناء حروبه مثلما ردت الشمس لأمر المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في مثل هذه الأيام، في مثل هذه الأيام بحسب كتب السير والتواريخ في مثل هذه الأيام ردت الشمس لأمر المؤمنين حينما كان راجعاً من النهروان، على أي حال، فمثلما نشر بلعم بن باعورا الزنا والمفاسد في بني إسرائيل في أتباع يوشع بن نون، كذلك نشر أبو الخطاب ونشر المغيرة بن سعيد الزنا والفواحش في من اتبعه وتابعه من أشياع إمامنا الباقر والصادق صلوات الله وسلامه عليهما.

نستمر مع بلعم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ -بآياتنا- وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ -تعبير دقيق جداً، القرآن ما قال: فَمَثَلُهُ مَثَلُ الْكَلْبِ، فَإِنَّ الْكَلْبَ أَشْرَفُ وَأَطْهَرُ مِنْ بِلْعَمٍ، وَإِنَّمَا مَثَلُهُ مَثَلُ الْكَلْبِ، أخذ صورة من الكلب، ما هي الصورة التي أخذت من الكلب؟- فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ.

الكلب دائماً، في البرد، في الحر، سواء كان متعباً، مرتاحاً، سواء حملت عليه، حملت عليه؛ أي هجمت عليه، أو شددت عليه، أو ضيقت عليه، سواء حملت عليه أو أنك لم تعبا به، أنك تركته، هو في كل أحواله يلهث، الكلب اللاهث حينما يفتح بوزه ويخرج لسانه يحرك لسانه أثناء تنفّسه هو هذا اللهاث، فإن الكلب على حالة واحدة في جميع أحواله، المراد أن بلعم هو هذا حاله، حاله حال الكلب، لماذا؟ لأنه صار مشدوداً إلى هذا التراب، صار عابداً لهواه وانسلخ من آياتنا.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ -هذا المثل لبلعم ولأمثاله- الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا و"آياتنا" هم وما يتجلى منهم على يد الأنبياء الذين هم من أشياعهم، والأنبياء أيضاً من آياتهم، الأنبياء والأوصياء هم أيضاً من آياتهم صلوات الله عليهم.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فكل الذين كذبوا بآياتنا مثلهم مثل الكلب، إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ، ما المراد من ذلك؟ المراد أن هؤلاء لا يتغيرون، حالتهم هي هي، بالضبط مثلما عندنا في الأمثال الشعبية: مثل ذيل الجلب يبقى أعوج، (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ -هو هو- إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ) مثل ذيل الجلب مئة بالمنة.

﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ -بالنسبة لهؤلاء لا يتفكرون، ولكن الرحمة الإلهية تفتح الأبواب لهم- فتقول: لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وإن كانت حالهم هذه: مثلهم كمثل الكلب، حملت عليه، ما حملت عليه، هو يلهث، هو هذا حاله لن يتغير، ومع ذلك فآبواب الرحمة الإلهية مفتحة لهم.

﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ -بين لهم الأمور، اضرب لهم الأمثلة، حدثهم بالتاريخ- لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ في الواقع العملي لا البلعميون ولا الخطابيون ولا المغيريون ولا السقيفيون ولا الجمليون يتغيرون، هذا هو الواقع عبر التاريخ، من أراد أن يتصفح التاريخ فإن الأحوال هي الأحوال.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

في الآية التي بعدها: ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ - ساء مثلاً هذا المثل - ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا.

الآية التي بعدها: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ قطعاً الهداية في أول الأمر وفي آخره مردّها إلى الله سبحانه وتعالى، ومرت علينا الآيات تذكّرنا بحمده على هدايته: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ).

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ولكن الهداية والضلال يجريان بحسب قانون البدء، وقانون البدء في تطبيقاته هناك سنن التوفيق والخذلان، وسنن التوفيق والخذلان صحيح أن مردّها في أولها وفي آخرها بيد إمام زماننا، بيدهم صلوات الله عليهم، لكن أسباباً تصدر منّا هي التي تفعل هذه القوانين في حياتنا، الأسباب تصدر منّا، يمكن أن تتفعل هذه القوانين من دون أسباب صادرة منّا، ذلك أمر نحن لا نعرف أسرارها، إنني أتحدث عما يجري في غالب الأمر وفي واقع حياتنا بنحو دائم، وبسبب ما يصدر منّا تتفعل قوانين التوفيق والخذلان في مسيرتنا، في مسيرتنا في حاضرنا وفي مستقبلها، على مستوى الأفراد، أو على مستوى الأسر، أو على مستوى المجموعات البشرية من القبائل، من الأحزاب، من الجمعيات، من الشعوب، من الأمم.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ يعني من جرى عليه قانون البدء في تطبيقات التوفيق والخذلان، فحينما فعلت هذه القوانين في حقه والنتيجة هي الضلال، هذا هو الخاسر الحقيقي، الخاسر هذا هو، والرابع ذاك هو المهتدي، الربح في الهداية، والخسران المبين في الضلال، وليس الربح فيما ناله من الدنيا وإن كنا نركض وراءها، وإن كان الاهتمام الأول في عقولنا وفي مداركنا وفي تفكيرنا ما ناله من هذه الدنيا، لكن لحظة الصدق إذا حانت فإن الربح لن يكون إلا في الهداية، وإن الخسران لن يكون إلا في الضلال، هذه المعاني ستتجلى لنا في لحظة الصدق، لحظة الصدق في أكمل معناها هي في مواجهة الموت، هناك يصدق الإنسان، هناك يصدق الإنسان مع نفسه وهناك تصدق نفس الإنسان معه.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ هذا هو المثل السيئ، أي مثل؟ الكلب اللاهث في جميع أحواله سيبقى لاهثاً، وكذلك الذين كذبوا بآياتنا سيقون على لُهاثهم، إنّه لُهاث وراء سراب، قد يجمعون ما يجمعون في عالم الدنيا، ولا أتحدث عن جمع مال، فإن الإنسان في الدنيا قد يجمع مالاً وقد يجمع شيئاً آخر، قد يجمعون ما يجمعون ممّا يريدون من أي صنف من أصناف شؤونات الدنيا، قد يجمعون ما يجمعون ولكنهم لن يتغيروا، اللُهاث هو اللُهاث، وهذه الأحوال السيئة ستبقى هي هي، وإن تلمسوا الحقائق فإنهم سيُشبحون بأنظارهم عنها، حتّى لو سقطت الحقيقة في حُجورهم فإنهم سيلوون عنق الحقيقة، هذا هو واقع بني آدم، هذا هو واقع الإنسان، إن لم ينله التوفيق تلك هي حقيقته.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ هم في الحقيقة لا يظلمون أحداً، هم يظلمون أنفسهم، حتى وإن صدر منهم الظلم لغيرهم فهذا الظلم لغيرهم سيعود عليهم.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

كُلُّ هذه الحكايات، كُلُّ هذه الوقائع، كُلُّ هذه المجريات من بداية سورة الأعراف بعد البسملة: ﴿المص﴾ وإلى نهاية الآية الثامنة والسبعين بعد المئة تجري في مجرى الربح والخسارة.

بعبارة أخرى: (في مجرى الرشد والغَي).

بعبارة أخرى: (في مجرى الهداية والضلال).

وبتعبير أوضح: (ما بين مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وبين غيرهم).

على جميع المستويات، على المستوى العلمي أو على المستوى العملي، السورة كما هو عنوانها: الأعراف، كما قال أمير المؤمنين: (وَنَحْنُ الْأَعْرَافُ الَّذِينَ مِنْ عَرَفْنَا وَعَرَفْنَاهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ أَنْكَرْنَا وَأَنْكَرْنَاهُ دَخَلَ النَّارَ) هذه الكلمة تُوجِزُ الحقيقة كلها التي مرت في هذا العدد الكثير من آيات الكتاب الكريم بنحو عام ومن آيات سورة الأعراف بنحو خاص.

الآية التاسعة والسبعون بعد المئة وهنا نبدأ فصلاً جديداً من فصول سورة الأعراف، فعند نهاية الآية المتقدمة انتهت قُصَصُ بني إسرائيل وما يرتبط من الآيات في سورة الأعراف بها، هنا شرعنا في فصل جديد، من هذه الآية وهي التاسعة والسبعون بعد المئة إلى آخر آية من آيات سورة الأعراف وهي الآية السادسة بعد المئتين الآيات المتبقية هذه تتناول موضوعات مهمة جداً ولكنها تتحدث عنها باقتضاب، ما بين آية إلى آيتين يكون الحديث في موضوع من الموضوعات المهمة، ثم يكون هناك انتقال إلى موضوع آخر حتى نصل إلى مسك الختام في الآية الأخيرة من سورة الأعراف وهي الآية السادسة بعد المئتين، أحاول أن أمر على ما بقي من آيات سورة الأعراف في هذه الحلقة بنحو موجز، لكنني لن أضيع أهم المعاني في هذه الآيات:

الآية التاسعة والسبعون بعد المئة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ - ذَرَأْنَا؛ خَلَقْنَا، ذَرَأَ الشيء؛ خَلَقَهُ - وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾.

قد يقول قائل: إِنَّ الله سبحانه وتعالى خلقهم من البداية لهذا الأمر؟ الأمور تجري بأسبابها، والآية هنا تتحدث عن عاقبة أمرهم، لا يعني أنهم لم يكونوا قادرين على أن يغيروا عواقب أمورهم، أبدأ، تغيير عاقبة الأمر يمكن للإنسان أن يتحرك باتجاهه في جميع المراحل، ومر الحديث عن عالم الذر وكيف تجري الأمور في قوانينه التي أشرت إليها بنحو مقتضب.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ - مَنْ هُمْ هؤلاء الَّذِينَ هُمْ مِنْ حَصَّةِ جَهَنَّمَ؟ مَنْ هُمْ هؤلاء؟ - لَّهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ - مَنْ هُمْ هؤلاء؟ - ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ ما هي أوصافهم؟ هذه أوصافهم: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) والمراد هنا من القلوب قُدْرَةُ الإدراك عند الإنسان، إن كان ذلك على المستوى العقلي، ما يسمّى بالعقل في الفلسفة، أو كان ذلك على المستوى القلبي، ما يسمّى بالقلب في الثقافة الدينية، إذ قد يحدث اختلاط في المصطلحات الدينية ما بين العقل والقلب ولا أريد أن أخوض في هذه المسألة لأنّ هذا سيفتح لي أبواباً من الحديث لا أريد أن أخوض خلالها.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.

الفقه: إدراك الحقائق، وإدراك الحقائق إمّا يكون بقوة الإدراك عند الإنسان التي تتجلى تارةً في عقله وتتجلى تارةً في قلبه، فهناك من المعلومات ما هو نظري محض، لا علاقة له بالعواطف والخلجات النفسية.

على سبيل المثال: الرياضيات، الرياضيات علم نظري محض، لا علاقة له بالعواطف، أين محلّه؟ في العقل.

وأما المعاني الوجدانية فأين محلّها؟ في القلب.

على أيّ حال، قوة الإدراك عند الإنسان في جانبها العقلي أو في جانبها القلبي، وقطعاً الفقه تتجلى حينما تمتزج المعارف العقلية مع المعارف القلبية، هنا يتجلى الفقه عند الإنسان، فالفقه معرفة الحقائق، الفقه ما هو معرفته الفتاوى والأحكام، معرفة الفتاوى والأحكام معرفة سطحية ساذجة لا قيمة لها بالقياس إلى معرفة الحقائق.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾.

"لهم أعين لا يبصرون بها" لا يعني أنهم فقدوا حاسة البصر، وإمّا فقدوا العلاقة الصحيحة فيما بين ما يبصرون وبين ما يحكم به إدراكهم.

﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ لا يعني أنهم قد فقدوا السمع، أبداً، بعبارة أخرى ما الذي جرى على هؤلاء؟ هؤلاء مجانين؟ أبداً، ما هم مجانين، هؤلاء إحساساتهم متجمدة؟ أبداً، هؤلاء عقولهم تشتغل، قلوبهم تشتغل، أعينهم تشتغل، آذانهم تشتغل، يسمعون، الجهاز السمع عندهم على أحسن وجه في بعده الفسلجي، الجهاز البصري عندهم على أحسن وجه في بعده الفسلجي، وكذلك القلوب، وكذلك الأدمغة، هؤلاء ما عندهم مشكلة فسلجية، ولا عندهم مشكلة نفسية بالمعنى النفسي للمشاكل النفسية التي نعرفها، هؤلاء كما بيدون أناس لا مشكلة عندهم، لكن الحقيقة ماذا تقول؟

الحقيقة هكذا تقول: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا) الإنسان عنده جهاز استلام، وعنده جهاز تحليل، وعنده جهاز إرسال، هذه الأجهزة في مختلف الأغراض التي يخترعها الإنسان، أجهزة استلام، أجهزة تحليل، أجهزة إرسال، إن كان في المواصلات، في وسائط النقل، إن كان في منظومات الفضاء، في أجهزة الاتصالات، وفي غير ذلك، في العالم المدني، في العالم العسكري، في مختلف الصناعات والتكنولوجيا

هناك أجهزة إرسال، أجهزة تحليل وأجهزة استلام، الإنسان هكذا أيضاً، إنما توصل الإنسان إلى هذه الحقائق وإلى هذه النتائج لأنه مبني على مثل هذه القوانين، وهذه الاختراعات والاكتشافات والنظم والقوانين والقواعد العلمية هي مستقاة من باطن الإنسان، سواء كان الإنسان أحسن بذلك أم لم يكن.

فالإنسان يمتلك أجهزة إرسال وأجهزة تحليل وأجهزة استلام، المركز الأصل أين؟ المركز الأصل في الفطرة، فطرة الإنسان هي المركز، هذه الفطرة قد يشوش عليها، (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يَهُودَانَهُ يَنْصَرَانَهُ يَمَجَّسَانَهُ) يمكن، ولكن حين تقوم الحجج وحين يكون التوفيق، هذا التشويش يزول، الفطرة تشتمل على جهاز استلام داخلي وعلى جهاز إرسال وجهاز تحليل، هذه الفطرة إذا ما هُدم بناؤها التكويني فإنها ستستلم الإشارات بشكل مغلوط، وستحلل الإشارات بشكل مغلوط، وسترسل الإشارات، الفطرة هي التي تعطي الإحداثيات للعقل وللقلب، إذا هُدم البناء التكويني للفطرة فإنها ستعطي إحداثيات خاطئة للعقل والقلب، وحينئذ القلب يتصور أنه يشتغل بشكل صحيح، والعقل كذلك، لكن الإحداثيات التي أعطيت له خاطئة، فسيستلم بشكل خاطئ، الموجات تتبدل، سيستلم من موجة أخرى، والتحليل سيكون خاطئاً، والإرسال، النتائج النهائية التي سيصل إليها العقل والقلب ستكون خاطئة، وهذا هو الذي يريده إبليس من الإنسان، إبليس يريد هذا.

تقدم الحديث عن اللواط وأن اللواط من الأسباب التي تؤدي إلى هدم بناء التكوين الفطري عند الإنسان، ليس اللواط فقط، المعلومات الخاطئة التي يشحن فيها الذهن ويبنى بناء خاطئاً هو الآخر سترك آثاراً سلبية على منظومة الإنسان، لأن الهدم سيكون هنا أين؟ سيكون الهدم في بناء التكوين العقلي، هناك هدم في بناء التكوين العقلي الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفطرة وحينها سيعطل الفطرة، فإن الفطرة حتى لو أرسلت باتجاه صحيح فإن العقل لن يستلم رسائل الفطرة، وإن استلمها فإنه سيستلمها بشكل خاطئ، وفي مرحلة التحليل تكون النتائج خاطئة، القضية معقدة، ربما قربت الفكرة وقربت الصورة، وأنا هنا لا أريد أن أجعل الحديث عن هذا الموضوع في هذه الحلقة، هذا موضوع كبير، والبيانات هنا في تفسير الآيات بيانات موجزة، مثلما بدأنا من أول حلقة، كما قلت: لن أفسر بنحو مبسوط واسع ولن أختصر إلى ذلك الحد المخل.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ عندهم عقول، عندهم قلوب، عقول تشتغل، قلوب تشتغل، الجهاز البصري سالم، الجهاز السمعى سالم، ولكن المركز الذي يعطي الإحداثيات، الآن حينما تُعطي إحداثيات خاطئة مثلاً لطائرة، لطائرة حربية، أليس ستلقي صواريخها، ستلقي متفجراتها على الأماكن الخاطئة؟ حينما يحدث خطأ في قصف الطائرات في الحروب ماذا يقولون؟ يقولون: هناك خطأ في الإحداثيات، الفطرة حين تُهدم يهدم بناؤها التكويني، هناك أشياء عديدة تؤدي إلى هدم البناء التكويني للفطرة، ولكن من أوضاعها اللواط.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ هؤلاء يمرون بعملية انسلاخ، ينسلخون عن الحق، مثلما مر الكلام في قصة بلعم: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) هناك عملية انسلاخ.

فماذا تقول الآية في حقهم؟ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ الأنعام؛ الحيوانات، ولفظة الأنعام بشكل خاص تُطلق على الأبقار، على الجاموس، على الثيران، على العجول، على الأغنام، على الخراف، على الماعز، على الحمير، على البغال، على الخيول، على الجمال، هذه الأنعام، الأنعام يمكن أن نقول: الحيوانات الأهلية، ويمكن أن تُطلق على غيرها، ولكن المعنى المتبادر من الأنعام هي الحيوانات الأهلية، لذا ماذا يقال؟ زكاة الأنعام، زكاة الأنعام هي زكاة ترتبط بالحيوانات الأهلية.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ هؤلاء حمير، بغال، وتجل الحمير عنهم، نحن لا نريد أن نهين الحمير، ولذلك الكاف تشبيهية، ما قال: أولئك أنعام، لو قال: أولئك أنعام، أعتقد أن الأنعام لا تقبل بذلك، قال: كالأنعام، فالأنعام خلقت هكذا، الأنعام لم تُجهز بقوة إدراك عالية مثلما جهز الإنسان، الأنعام تمتلك منظومة إدراك ولكن بحسبها، أما الإنسان فإنه يمتلك منظومة إدراك متفوقة جداً بالقياس للأنعام.

حينما نذهب إلى سورة المؤمنون على سبيل المثال: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) هذه الحالات الأنعام تمر فيها، هذه الحالات ليست خاصة بالإنسان، يعني إذا أردنا أن نُصور ما يجري في أرحام الحيوانات، في أرحام الأبقار مثلاً هو كالذي يجري في أرحام النساء في أرحام الإنسان، ولكن الفارق أين؟ ثم أنشأناه خلقاً آخر، (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) تبارك الله أحسن الخالقين للحديث عن الخلق الآخر، (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) هذه الآية لها أكثر من دلالة وأكثر من وجه، أحد وجوها: (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) ما أعطي الإنسان من منظومة الإدراك المتفوقة، وإننا للعلم لم نفعل هذه المنظومة لحد الآن، هذه المنظومة تحتاج إلى المولود الرئيسي، نحن عندنا التوصيلات، المولود الرئيسي لحد الآن لم يربط الكابل الرئيسي، المولود الرئيسي يضع يده على رؤوس العباد فتكتمل بذلك عقولهم، إلى الآن عملية الربط لم تكتمل، ومع ذلك منظومة الإدراك الفائق عند الإنسان عالية جداً.

عملية التعطيل من أين تبدأ؟ عملية التعطيل تبدأ حينما يضرب البناء التكويني للفطرة أو يضرب البناء التكويني للعقل.

أما القلب، فالذي يضرب بناؤه هو الاختلال في موازين الولاية والبراءة، حينما لا يكون الإنسان عارفاً بموازين الولاية والبراءة فإن الاختلال في بنية القلب ستتحقق، وتبدأ البنية الصحيحة بالانهدام شيئاً فشيئاً.

لكن الناس في الغالب إما أن البناء التكويني في فطرهم هو المهدوم أو البناء التكويني في عقولهم هو المهدوم، هذا الذي يحدث في الغالب، رحمة بالخلق فإن البناء التكويني للقلوب لن ينهدم بسرعة، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوبنا ويحاسبنا على ما في قلوبنا، وذلك من رحمته جلّت قدرته وتعالى شأنه العزيز.

﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من هم هؤلاء؟- أولئك هم الغافلون هؤلاء الغافلون الحقيقيون، هؤلاء في غفلة عن عاقبة أمرهم، وفي غفلة عما يراد بهم، فإن الذي يفعل بهم هو الشيطان هنا، إن كان مصوراً

في صورة إنسان ظاهر بينهم أو كان في صورة شيطان خفي يوسوس لهم ويقودهم من حيث لا يشعرون، فإن إبليس كما مر علينا في قصة أبينا آدم في أوائل سورة الأعراف، وقرأت عليكم الروايات: طَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَمَكِّنَهُ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ حَيْثُ يَرَاهُمْ وَلَا يَرُونَهُ، فقال له: لك ذلك، بل إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى فَسَحَ لَهُ مَجَالًا أَنْ يَسْكُنَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ وَأَتْبَاعَهُ مِنْ جَنْسِهِ الْإِبْلِيسِيِّ الْجَنِيِّ أَنْ يَسْكُنَ فِي بَوَاطِنِنَا، مَرَّ الْحَدِيثُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَطَالِبِ وَلَا أَرِيدُ أَنْ أَعُودَ كِي أَتْنَاهُ مَرَّةً ثَانِيَةً ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ - بل هم أضلّ؛ أضلّ وأضلّ من الذين يشبهون بالأنعام- أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

الآيات التي تأتي بعد هذه الآية تتحدث عن موضوع كبير جداً، وهذا الموضوع أيضاً يرتبط بالغافلين والمنتبهين، مثلما ختمت الآية: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ هناك مجموعة تقابل الغافلون هم المنتبهون، هم اليقظون، من هم هؤلاء المنتبهون؟ من هم هؤلاء اليقظون؟ هؤلاء هم الذين خاطبتهم آخر آية من سورة آل عمران، الآية المئتان: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا) المرابط هو اليقظ، المرابط من هو؟ المرابط هو الذي وقف على ثغور البلاد على الحدود، من الجهة التي يريد الأعداء أن يهاجموا منها، فهو راكب على فرسه، قد لبس لامة حرب، يده على مقبض سيفه، في غاية الانتباه والترصد والتركيب، يتلصص النظر هنا وهناك باحثاً عن حركة أو عن صوت غريب فيما يحيط به من التلاع والأودية والأغوار والأنجاد، مستعداً تمام الاستعداد، هذا هو اليقظ، هذه المرابطة، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا؛ اصبروا على دينكم، وَصَابِرُوا عدوكم، وَرَابِطُوا إمامكم) كما في الروايات، فهناك الغافلون وهناك المرابطون، المرابطون هم اليقظون.

الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف وهي من أهم آيات سورة الأعراف، بل من أهم آيات الكتاب الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

الأسماء الحسنى: مرةً نتحدث عنها في عالم الألفاظ، في عالم الألفاظ الأسماء الحسنى هناك مجموعة هي مجموعة التسعة والتسعين، تسع وتسعون اسماً من الأسماء الحسنى، وهذه الأسماء الأصول، وإلا فإن الأسماء الحسنى لا تقف عند هذا الحد، الأسماء الحسنى لا عد لها ولا حصر، في دعاء الجوشن الكبير هناك مئة مقطع، دعاء الجوشن الكبير موجود في المفاتيح وأعتقد أنكم تعرفونه، دعاء الجوشن الكبير يتألف من مئة مقطع، في كل مقطع من هذه المقاطع هناك عشرة أسماء من الأسماء الحسنى، فهنا عندنا في دعاء الجوشن الكبير ألف اسم من الأسماء الحسنى، وإذا أردنا أن نتابع في بقية الأدعية الشريفة فإننا سنجد أكثر من ذلك، فالأسماء الحسنى لا عد لها ولا حصر إذا كان الحديث على المستوى اللفظي.

أما الأسماء الحسنى على مستوى الحقيقة: فلا علاقة لهذه الألفاظ بها، هذه الألفاظ مجرد حروف وأصوات نحتاجها في المنظومة الكلامية، ونحتاجها في المنظومة الذهنية كإشارات ورموز لأجل التفهم والتدبر والتفكر كي نتعلم، وإلا فلا صلة فيما بين هذا الوجود اللفظي وبين الأسماء الحسنى على حقيقتها، إذا كان هناك من صلة

أن هذه الألفاظ تُعْتَبَر من تجليات تلك الأسماء في مستوى اللغات وفي مستوى الحروف والأصوات، ليس أكثر من ذلك.

وإلا فالأسماء الحسنى التي يقول عنها صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه: نحنُ الأسماء الحسنى، الأسماء الحسنى التي بين أظهرنا هم، أممتنا الذين نعرفهم، الأسماء الحسنى بكُل جوامعها هي في كُلِّ إمام من أممتنا، الأسماء الحسنى بين أظهرنا جماعها الكامل الحجة بن الحسن، ما لا نراه من إمام زماننا تلك هي الحقيقة الخفية عنا من تجليات الأسماء الحسنى.

جعلهم بعرضه محدقين؛ ذلك تجلٍّ آخر، والتجليات لا عدَّ لها ولا حصر، كُلُّ ما في الوجود هو من تجليات الأسماء الحسنى.

منابع الوجود، هذا الوجود بكُلِّ شؤوناته من أين صدر؟ حين أتحدث عن الوجود نحنُ وما حولنا، ما يرى وما لا يرى، كُلُّ ما في هذا التكوين، ما ندركه وما لا ندركه، ما نحيط به عقلاً وما لا نحيط به عقلاً، ما نستشعره بحواسنا وما لا نستشعره، كُلُّ شيء منابعه الأصلية الأسماء الحسنى، والأسماء الحسنى منبعا الأصل، مصدرها الأول هو الاسم الأعظم الأعظم الأعزُّ الأجلُّ الأكرم، بعبارة موجزة: الحقيقة المحمدية، هذا هو الاسم الذي خلقه سبحانه وتعالى، اسم مخلوق، خلقه فاستقر في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره، جوهر الأسماء الحسنى هو الاسم الأعظم، حقائق الأسماء العظمى تجلّت من ذلك الاسم الأعظم، منابح الوجود وأصل الوجود من هذه الأسماء.

آل محمد في الدنيا: الأسماء الحسنى التي تجلّت في هذا العالم بحسب هذا العالم في الهيكل البشري، هذه الأسماء الحسنى الظاهرة في الهياكل البشرية.

فالحديث عن هذه الأسماء وليس عن الألفاظ، الذين يقصرون الأسماء الحسنى على الألفاظ هؤلاء هم الذين يصطلح عليهم القرآن: الملحدون، الإلحاد اصطلاحاً في الكتاب الكريم يرتبط بأهل البيت، لا كمصطلح الإلحاد المتداول في الوسط الثقافي من أن الإلحاد هو إنكار الخالق، إنكار الموجد الأول للوجود، إنكار الله الذي تعود إليه كُلُّ الأشياء، الإلحاد في الكتاب الكريم هو إلحاد بمنازل آل محمد، على سبيل المثال:

إذا ما ذهبنا إلى سورة الحجّ، في الآية الخامسة والعشرين في سورة الحجّ بعد البسملة قطعاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قطعاً هذه الآية جاءت بعد آية سابقة الآية الرابعة والعشرون: ﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ - الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ولاية علي، صراط الحميد علي صلوات الله عليه - وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أحسن القول ولاية علي، الطيّب من القول ولاية علي، مرت علينا القواعد في تفسير القرآن: (الرموز، العناوين، الأسماء، وكُلُّ حسن، وكُلُّ جمال، وكُلُّ مدح هو في ولايتهم، هو في شؤوناتهم.

الآية الرابعة والعشرون: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ - الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ ولاية علي - وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ - صراط الحميد علي، الآية التي بعدها- إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبيل الله علي، ماذا أصنع لكم وماذا أصنع لنفسي؟! في روايات أهل البيت هكذا فُسر القرآن، فماذا تريدون مني؟! هل تريدون مني أن أنكر تفسير جابر؟ الذي ينكر تفسير جابر ماذا قال عنه الباقر؟ هو من السفلة، من سفلة الشيعة، لا أريد أن أكون منهم، إنني أفسر القرآن بحديثهم، لا شأن لي بمراجعنا الكرام الذين لا يفسرون القرآن مثلما فسر جابر القرآن، لا شأن لي بهم.

﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ - الطَّيِّبُ مِنَ الْقَوْلِ ولاية علي، صراط الحميد علي - إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سبيل الله علي، تقرأون في دعاء الندبة: أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - يصدون عن علي - وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الذي هو بيت علي، وهناك ولد علي، وإسماعيل جد علي كانت أغنامه هنا تتحرك وتدور.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فسروا ما تريدون أن تفسروا، وليفسر المخالفون، وليفسر علماؤنا ما يريدون أن يفسروا، كل بحسب ما يشتهي، أما أنا فساقت بحسب آل محمد، سواء رضيتم أيها المشاهدون أم لم ترضوا، برغم أنوفكم ساقت القرآن بحديث آل محمد.

هذا هو تفسير القمي، وتفسير القمي روايات وأحاديث عن باقرهم، عن صادقهم، عنهم صلوات الله عليهم: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) ماذا جاء في تفسيرهم الشريف صلوات الله عليهم؟ نزلت في مَنْ يُلْحِدُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الإلحاد في القرآن وفي حديث أهل البيت هو إلحاد في علي، نزلت هذه الآية في مَنْ يلحد في علي، في أمير المؤمنين.

ماذا تعتقدون حذف الشهادة الثالثة من الأذان والإقامة إلحاد بعلي أو لا؟! والله إلحاد بعلي، هذا إلحاد بعلي، حذف الشهادة الثالثة من التشهد الوسطي والآخر، حذف السلام على علي وآل علي من التسليم في الصلاة إلحاد أو لا؟! إلحاد، إلحاد بأمر المؤمنين، والدليل إمامنا الصادق يقول: فَإِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ فَلْيَقُلْ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فحين نحذفه أو نقول ليس واجبا، إلحاد هذا أو ليس بإلحاد؟!

في الكافي الشريف بخصوص نفس هذه الآية: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - سأل إمامنا الصادق - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) ماذا قال إمامنا الصادق؟ قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ - في مَنْ؟ في الذين ظلموا عليا، في الذين ألحدوا في علي - قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ

حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ -حينما كتبوا الصحيفة، الصحيفة المشؤومة التي قالت عنها كلماتهم الشريفة: قُتِلَ الْحَسَنِ يَوْمَ كُتِبَ الْكِتَابُ، يوم كُتِبَت الصحيفة- قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ، هذه الآية: (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ) من يُرَدُّ في المسجد الحرام.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ -في المسجد الحرام- بِالْحَادِ بِظُلْمٍ -من يُرَدُّ أن يلحد بعلي في المسجد الحرام- نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ وإلا هذه التراكيب تراكيب غير واضحة في الآيات، ليس لها معنى إلا هذه المعاني.

ماذا يقول الصادق والرواية في الكافي الشريف؟ نَزَلَتْ فِيهِمْ -في هؤلاء القوم الذين كتبوا الصحيفة- حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ مَا نَزَلَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأُلْحَدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرَّسُولَ وَوَلِيَّهِ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

ألا تلاحظون أن المعاني تأتي منسجمة انسجاماً واضحاً، عجباً لعلماء الشيعة يتكون هذه الحقائق ويركضون وراء الطبري، ووراء الفخر الرازي، وراء ابن عربي، وراء سيد قطب، يركضون وراء هؤلاء ويتكون هذا الكلام النور الواضح الذي ينسجم انسجاماً مع وقائع التاريخ، مع عواقب الأمور، أليس الأمور بخواتيمها؟ فكيف كانت الأمور؟ وكيف كانت خواتيمها؟ وقرأوا الآيات أنتم عودوا بنفسكم إلى الآية الخامسة والعشرين بعد البسملة من سورة الحج، الآية ستبقى مرتبكة مضطربة من دون هذا الحديث، الحديث هو الذي يكمل الآية، تقولون: كيف؟ ما هو محمد قال هكذا: لَنْ يَفْتَرَقَا، لماذا تفرقون بين حديثهم وكتابهم؟! هذه آياتهم، (آياتنا، آياتنا) هذه آياتهم، وهذه كلماتهم، كما أبدأ في بداية البرنامج أخطب إمام زمني فأقول: سيدي يا صاحب الأمر، كلامكم نور، قرآنكم نور، كلامكم نور يا نوراً على نور..

الرواية في الكافي الشريف عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه: (قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ مَا نَزَلَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأُلْحَدُوا فِي الْبَيْتِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، فَأُلْحَدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرَّسُولَ وَوَلِيَّهِ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فهذا الإلحاد في الكتاب الكريم هو إلحاد بعلي وآل علي.

لو ذهبنا إلى سورة فصلت، في الآية الأربعين من سورة فصلت: إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا -إذاً الإلحاد في آياتنا، وآياتنا من هم؟ محمد وآل محمد- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا -فإن الإلحاد هذا المصطلح في الكتاب الكريم، في ثقافة الكتاب والعترة هو إلحاد بعلي وآل علي، إلحاد بمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يا أبا الغيث، يا أبا الغيث أغثنا، يا علي أدركنا، أدركنا وأعنا على أنفسنا يا سيد الأوصياء، أعنا على أنفسنا ووفقنا أن لا نكون من المُلحدين فيك، إني أعوذ بك يا أمير الوجود أن أكون في حياتي أو في مماتي أو في قبري ومحشري ممن يلحد فيك أو في آلك الأظهار أو ممن يلحد في آياتك وأسمائك الحسنى التي أروح بها خاطري..

ما يرتبط بهذا المصطلح: (الإلحاد، الآيَةُ الأربعة من سورة فُصِّلَتْ: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا) فالإلحاد في علي وآل علي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ مَن الَّذِي يَأْتِي آمَنًا يوم القيامة؟ (وَلَايَةُ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ حَصْنِي فَمَن دَخَلَ حَصْنِي أَمِنَ مِن عَذَابِي).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فالإلحاد في آياتنا الإلحاد في علي وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الصَّلَةُ فيما بيننا وبين الله أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى.

- في عالم الألفاظ: أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى الَّتِي نَزَلَتْ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ الَّتِي عَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ.
- وفي حقائق هذا العالم: فَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، (نَحْنُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).
- وفي عوالم الغيب: الْأَنْوَارُ الَّتِي جَعَلَهَا مُحَدِّقَةً بِعَرْشِهِ.
- وفي النِّهَايَاتِ: فَإِنَّ مَرَدَّ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى إِلَى الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الَّذِي خَلَقَهُ ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي ظِلِّهِ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

فَنَحْنُ نَتَّصِلُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي كُلِّ مَرَاتِبِهَا وَفِي كُلِّ مَظَاهِرِهَا، وَإِذَا مَا تَوَجَّهْنَا إِلَى اللَّهِ تَوَجَّهْنَا إِلَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، لِأَنَّا نَتَمَسَّكُ بِهَا، نَتَوَسَّلُ بِهَا، نَلْجَأُ إِلَيْهَا، مَا عِنْدَنَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَتَّجِهُ إِلَيْهَا، (أَيْنَ وَجْهُ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوَّلِيَاءُ).

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ اتركوهم، لا شأنَ لكم بهم هؤلاء الذين يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ، مَن هُمُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ؟

أمثالُ أصحاب الصحيفة، الَّذِينَ أَلْحَدُوا بِظُلْمٍ فِي حَقِّ عَلِيٍّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حِينَ كَتَبُوا الصَّحِيفَةَ.

من هم هؤلاء الملحدون الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا وَمَصِيرُهُمْ إِلَى جَهَنَّمَ كَمَا فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ، مِنْ هُمُ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ هِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ، هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فِي عَالَمِ اللَّغَاتِ وَالْأَلْسِنَةِ لَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى هُمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمِيلُونَ بِالْحَقَائِقِ فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى هِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ وَانْتَهَيْنَا، هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُلْحِدُونَ فِي مَنْطِقِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يَحْرِفُونَهَا عَنْ حَقِيقَتِهَا فَيَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَىٰ هِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ، كَمَا يَقُولُ الْمُخَالَفُونَ النَّوَاصِبَ، مَاذَا يَقُولُونَ؟ كَمَا يَقُولُ عُلَمَاؤُنَا الْأَجَلَاءُ فِي كُتُبِ تَفْسِيرِهِمْ مِنْ أَنَّ الْأَسْمَاءَ هِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ، هَذَا قَوْلُ النَّوَاصِبِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ بِهَذَا الْقَوْلِ هُمْ الْمُلْحِدُونَ بِحَسَبِ مَنْطِقِ الْقُرْآنِ، وَسَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ الرِّوَايَاتِ، مَنْطِقُ الْقُرْآنِ هُوَ مَنْطِقُ عَلِيِّ وَآلِ عَلِيٍّ مَا هُوَ مَنْطِقِي، مَنْ أَنَا؟!

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مَاذَا تَقُولُ كَلِمَاتُ آلِ مُحَمَّدٍ فِي أَجْوَاءِ هَذِهِ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ؟

أَنَا أَقْرَأُ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ تَفْسِيرِ الْبَرْهَانِ، وَقَدْ نَقَلَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ عَنْ أُمِّهَاتِ مَصَادِرِنَا، هَا هُوَ يَنْقُلُ عَنْ (الكَافِي) لَشَيْخِنَا الْكَلِينِيِّ، عَنْ إِمَامِنَا الصَّادِقِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ مَاذَا قَالَ إِمَامِنَا الصَّادِقُ بِحَسَبِ رَوَايَةِ الْكَلِينِيِّ فِي الْكَافِي؟ قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ -إِمَامٌ هُنَا يَقْسِمُ لِتَأْكِيدِ الْمَعْنَى فَلَيْسَ مَحْتَاجًا لِلْقِسْمِ- قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ هِيَ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ: الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْكَرِيمُ، الْغَفُورُ، هَؤُلَاءِ مُلْحِدُونَ، هَؤُلَاءِ هُمْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَىٰ هِيَ هَذِهِ، مَا هِيَ الْأَلْفَاظُ، هَذِهِ الْأَلْفَاظُ إِنْشَارَاتٌ، وَجُودٌ لَفْظِي لِلْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، أَمَّا الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَهِيَ حَقَائِقُ، هِيَ هَذِهِ.

الإمام يقول في معنى هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ نفس الآية الموجودة في سورة الأعراف، ماذا قال إمامنا الصَّادِقُ؟ نَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا.

ثُمَّ يَنْقُلُ السَّيِّدَ هَاشِمَ الْبَحْرَانِي فِي تَفْسِيرِهِ الْبَرْهَانَ رَوَايَةً عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا، عَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ، مَاذَا يَقُولُ إِمَامِنَا الرِّضَا؟ إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا -الرَّوَايَةُ مَوْجُودَةٌ فِي نَفْسِ هَذَا الْجُزْءِ، فِي الْجُزْءِ الثَّانِي، لَكِنِّي أَقْرَأُهَا مِنْ تَفْسِيرِ الْبَرْهَانِ، وَإِلَّا مَصْدَرُهَا الْأَصْلِي هَذَا الْكِتَابُ وَمَوْجُودَةٌ فِي هَذَا الْجُزْءِ، إِمَامِنَا الرِّضَا يَقُولُ: إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدَّةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ اسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ؛ أَيَّ تَوَاصَلُوا مَعَ اللَّهِ بِنَا - وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ -إِمَامِنَا الرِّضَا يَقُولُ يَكْرَرُ كَلَامَ إِمَامِنَا الصَّادِقِ- قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: نَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ الَّتِي لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا، لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ؛ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا، عَقِيدَةً، عَمَلًا، عِبَادَةً، إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا.

وَيَنْقُلُ أَيْضًا عَنِ الشَّيْخِ الْمَفِيدِ فِي كِتَابِهِ (الِاخْتِصَاصِ) عَنْ إِمَامِنَا الرِّضَا: إِذَا نَزَلَتْ بِكُمْ شِدِيدَةٌ فَاسْتَعِينُوا بِنَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

هناك رواية أخرى أيضاً نقلها السيد هاشم البحراني عن كتاب (الاختصاص) لشيخنا المفيد: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ إِمَامِنَا الْبَاقِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ، هَذَا حِينَما اعْتَرَضَ النَّاسُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى رِوَايَةِ إِمَامِنَا الْبَاقِرِ عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ، فَاعْتَرَضُوا وَكَذَّبُوا وَأَشَاعُوا الدَّعَايَا مِنْ أَنَّهُ كَاذِبٌ يَفْتَرِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَأَخَذَ يَرْوِي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالُوا صَدَقَ فَإِنَّ جَابِرًا قَدْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ، مَاذَا أَقُولُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ؟! مِنْ طَيْحِ اللَّهِ حَظُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِي وَاللَّهِ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ بَاقِرِ الْعُلُومِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ: ذَاكَ نَفْسِي، قُلْتُ: فَمَا تَقُولُ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ؟ قَالَ: هُمَا رُوحِي وَقَاطِمَةُ أُمَّهُمَا ابْنَتِي يَسَوْنِي مَا أَسَاءَ هَا وَيَسَرِّي مَا سَرَّ هَا، أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي حَرَبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمْ وَسَلَّمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمْ، يَا جَابِرُ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَدْعُو اللَّهَ فَيَسْتَجِيبَ لَكَ فَادْعُهُ بِأَسْمَائِهِمْ فَإِنَّهَا أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الرواية الأهم هي عن حنان بن سدير، (في بعض النسخ: حنان) عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَلَيْسَ لَهُ شِبْهُ وَلَا مِثْلٌ وَلَا عَدْلٌ وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يُسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ - هَذِهِ أَسْمَاءُ لَهُ - وَهِيَ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ: فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ - الإمام يبين ما المراد من هذا - جَهْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَالِذِي يُلْحِدُ فِي أَسْمَائِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يُشْرِكُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَيَكْفُرُ بِهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ، فَلِذَلِكَ قَالَ: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) مؤمنون وهم مشركون كيف؟ حين يلحدون بأسمائه، حين يتصورون أن الأسماء هذه الألفاظ، هؤلاء مشركون.

اقرأ عليكم مرة ثانية ماذا قال إمامنا الصادق: وَلَهُ - لِلَّهِ - وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يُسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ وَهِيَ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ فَقَالَ: (فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ جَهْلًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) قَالِذِي يُلْحِدُ فِي أَسْمَائِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ يُشْرِكُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، وَيَكْفُرُ بِهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُحْسِنُ، فَلِذَلِكَ قَالَ: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ)؟ إمامنا الصادق يقول: فَهُمْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضَعُونَهَا غَيْرَ مَوَاضِعِهَا، فيتصورون أنها ألفاظ، هذا أنا اسمي لفظ، وأنت اسمك لفظ، وأنت اسمك لفظ، الله أسماؤه ما هي ألفاظ، الله أسماؤه حقائق، مثلما قال إمامنا الصادق: (وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يُسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ) نحن نُسَمَّى بالألفاظ، أما الله سبحانه وتعالى فلا يُسَمَّى بالألفاظ، يُسَمَّى بالحقائق، الألفاظ هذه لأجلنا، هذه وسائل لأجل أن نفهم، أسماء الله حقائق، هي أشرف حقائق الوجود، أسماء الله مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ.

انتبهوا لهذا الكلام: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) هم مؤمنون يتصورون ولكن في الحقيقة هم مشركون، مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ؟ الإمام يقول: فَهُمْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضَعُونَهَا غَيْرَ مَوَاضِعِهَا.

ابحثوا عن هؤلاء، ثقفوا أن تفاسير علمائنا كلها وفقاً لهذا الذوق الأعوج، وفقاً لذوق المخالفين، المخالفون هم الَّذِينَ جَعَلُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى الْأَلْفَاظَ وَعِلْمَاؤُنَا وَمَرَاغِعُنَا رَكُضُوا وَرَاءَهُمْ، كُتِبَ التفسير راجعوها،

كُتِبَ العقائد راجعوها، كُتِبَ علم الكلام راجعوها، كُتِبَ علمائنا في شتى الموضوعات راجعوها، فإنهم يتحدثون عن أن أسماء الله الحسنى هي هذه الألفاظ، وهؤلاء مشركون من حيث لا يعلمون، مثلما قال إمامنا الصادق.

فأنا أسألكم: تريدون تفسير القرآن بأي لون من الخراط؟! من خراط المخالفين أم من خراط علمائنا رضوان الله تعالى على الماضين وأعلى الله مقام الباقيين؟! أم تريدون تفسير القرآن من آل محمد؟ تفسير القرآن من آل محمد هو هذا، إذا كنتم تريدون الخراط فعليكم بتفاسير النواصب وعليكم بتفاسير مراجعنا وعلمائنا الأجلاء، الخراط موجود هناك على أحسن وجه، الخراط يعني الهراء، يعني السفاهة والسخافة في القول، هذا هو الخراط.

أما القرآن النور فهو بحاجة في التفسير إلى الكلام النور، والكلام النور لا هو كلامي ولا هو كلامكم ولا هو كلام المخالفين ولا هو كلام مراجعنا وعلمائنا الأجلاء، إنه كلام علي وعلي فقط، وهذا وفاء لبيعة الغدير لعلي، فإننا بايعنا علياً على ذلك أننا نفسر القرآن على أساس تفسير علي صلوات الله وسلامه عليه.

في الآية الثمانين بعد المئة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ اتركوهم، اتركوهم مع هرائهم ومع سفاهاتهم وسخافاتهم.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا - تَوَجَّهُوا إِلَىٰ أُمَّتِكُمْ - وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ إن كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ إنها الفرقة الناجية في أحاديث أهل البيت، نحن إن كنا على ولاء علي وبقبلنا إمام زماننا، نحن الفرقة الناجية بشرط قبول إمام زماننا.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في بعض الروايات الإمام يقول، أمير المؤمنين والأئمة الباقون: أنا وشيعتي، نعم هذه الفرقة الناجية، الفرقة الناجية لماذا جاءت بعد الآية السابقة؟ الذين لا يلحدون في الأسماء الحسنى هؤلاء الفرقة الناجية، أما يقولون نحن من الفرقة الناجية وهم يلحدون في الأسماء الحسنى هؤلاء ما هم من الفرقة الناجية، ربما يقبلهم الإمام الحجة بعفوه ورحمته، وكل رجائنا في عفوه ورحمته، ولكن بحسب الموازين العلمية والعقائدية، وبحسب موازين القرآن هذا، هؤلاء ما هم من الفرقة الناجية، مثلما قال إمام زماننا: (طَلَبَ الْمَعَارِفِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَسَاقٍ لِإِنْكَارِنَا) مساوق؛ مساوي، فمن يطلب المعرفة من غير علي فهو ينكره، هذا منطق الحجة بن الحسن، ماذا تقولون أنتم؟ ما هو منطقكم؟

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ يهدون بالحق؛ يهدون أنفسهم ويهدون غيرهم إذا كانوا قادرين على ذلك، يهدون بالحق، الحق عنوان في الكتاب الكريم لعلي صلوات الله عليه، كلمة الحق يعني علياً.

﴿يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وإذا ما حكموا، إذا ما حكموا في الحياة الشخصية، أو إذا ما حكموا في الحياة السياسية، أو إذا ما حكموا في أي أمر من الأمور، فإنهم به يعدلون، يعدلون بالحق، يعدلون بهذا الميزان، إنه ميزان الأعمال، كما نُسلّم عليه في زيارته: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِيزَانُ الْأَعْمَالِ وَسَيْفُ ذِي الْجَلَالِ) يا أمير الأمراء.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ يهدون أنفسهم، يهدون غيرهم، يهدون قلوبهم، يهدون عقولهم حين يتمسكون بعلي، والتمسك بعلي تمسك علمي معرفي بالدرجة الأولى قبل أن يكون عاطفياً، حبّ علي لوحده منجاة، أنا لا أقول كما يقول بعض علمائنا، بل ربما الكثير منهم يقولون بهذا، وإن لم يسطّروه في كتبهم، من أن حبّ علي لوحده ليست له خصوصية.

حبّ علي لوحده له خصوصية وألف خصوصية وترليون خصوصية، نعم شيعته عليهم أن يعملوا، فالعمل الصادق هو إيماء لحبّ علي في القلوب، العمل الصادق قطعاً المزيّ والمقبول من قبل إمام زماننا ينزل على حبّ علي في القلوب بمثابة المطر حينما ينزل على الأرض الخصبة في البلد الطيبة فينبت نباتاً طيباً.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ شيعة علي الفرقة الناجية.

فَخَلِّ عَلَىَّ يَا إِمَاماً وَوَلَدَهُ وَأَنْتَ مِنَ الْبَاقِينَ فِي أَوْسَعِ الْحَلِّ
الباقون خذهم إليك هنيئاً مريئاً!!

فَخَلِّ عَلَىَّ يَا إِمَاماً وَوَلَدَهُ وَأَنْتَ مِنَ الْبَاقِينَ فِي أَوْسَعِ الْحَلِّ

شَلِّ اخذهم، اترك لي علياً وولده، والباقون شَلِّ اخذهم، من السنّة، من الشيعة، من الهندوس، من أيّ أمة..

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الحقّ ولاية علي، ولن تكون الهداية ولن يكون العدل في أيّ صفحة من صفحات الحياة إلا بولاية علي، إلا بعلي صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ آياتنا، آياتنا، القرآن من أوله إلى آخره: الَّذِينَ كَذَّبُوا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، هل غيرهم؟! هُم الميزان، وهُم القرآن، وهُم البيان، وهُم البرهان، وهُم السّلطان، سُلطان الحقيقة وسُلطان الولاية وسُلطان كلّ شيء.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ومَرّت علينا في وقائع بني إسرائيل نفس هذه المضامين، والأحداث تترى وتتجلى على طول سيرة موسى النبي، ومَرّ علينا من أن أُمَّةً ومن أن قوماً في بني إسرائيل يهدون بالحق وبه يعدلون، أولئك الذين سيخرجهم إمام زماننا من ظهر الكوفة، مرّت علينا هذه المضامين.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ *
وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ هؤلاء الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَيُطَبَّقُ فِي حَقِّهِمْ أَيُّ قَانُونٍ؟ قَانُونُ الإِمهال، قَانُونُ الاستدراج.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

سَنَسْتَدْرِجُهُمْ؛ ندفعهم شيئاً فشيئاً إلى النِّهَايَةِ الْمُظْلَمَةِ، هم يدفعون أنفسهم بأنفسهم، القوانين هكذا تتحرك، فليس الله سبحانه وتعالى هو الَّذِي سيدفعهم إلى النِّهَايَةِ الْمُظْلَمَةِ، هم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَالَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا قد اختاروا طريقاً يقودهم إلى النِّهَايَةِ الْمُظْلَمَةِ، لكننا عَقُوبَةٌ لَهُمْ سنتركهم، لا نُبَالِي بِهِمْ، هذا هو الاستدراج، سَيَتَرَكُونَ والشيطانُ من ورائهم لن نَحْمِيَهُمْ، لن نجعل العوارض أمامهم، من أَحَدٍ ومن أBRَزِ مصاديق التوفيق: (وجود العوارض في حياة الإنسان، يُقَدِّمُ الإنسان على عمل فيجد أمامه العوارض الَّتِي تحُولُ فيما بينه وبين ذلك الأمر، هو قد لا يرتاح ويعده من سوء الطالع، ولكن هذه العوارض في كثير من الأحيان للمؤمن من علائم التوفيق، وجزاء لعمل صالح كان قد فعله، لأنَّه لو وصل إلى مُرَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ المراد سيفتح له باباً قد يأخذه بعيداً عن إمام زمانه، قد يأخذه بعيداً عن عليٍّ وآلِ عليٍّ، فتوضَّع العوارض أمامه، مَصْدَاقٌ واضحٌ من التوفيق أن يَمْنَعَ الإنسان عن أن يصل إلى مُرَادِهِ في بعض الأمور الدنيوية، لأنَّه لو وصل إليها ليست المشكلة في نفس هذا الأمر الَّذِي وصل إليه، وإِنَّمَا المشكلة في الساحة الَّتِي تحيطُ بهذا الأمر، ففي هذه الساحة توجد من الكمائن والمصائد قطعاً سيقع فيها، فَمِنْ هُنَا يَحْرَمُ من الوصول إلى مُرَادِهِ الدنيوي هذا، فَيَمْنَعُ وَيَكْفُ، ليست المشكلة فيه هو الآن، ولا المشكلة في الأمر الَّذِي يريد أن يصل إليه، ولا المشكلة في الأسباب الَّتِي هيأها، فهو قادرٌ أن يصل من خلال الأسباب إلى مُرَادِهِ، ولكنَّه لو وصل الساحة المحيطة بِمُرَادِهِ ستوقعه في كمائن ومصائد، هنا يتدخلُ التوفيق: (عَتَبْتُ بِجَهْلِي عَلَيْكَ وَلَعَلَّ الَّذِي أَبْطَأَ عَنِّي هُوَ خَيْرٌ لِي لَعَلَّكَ بِعَاقِبَةِ الْأُمُورِ، فَلَمْ أَرَى مَوْلَى كَرِيماً أَصْبَرَ عَلَى عَبْدٍ لَيْسَ مِنْكَ عَلَيَّ يَا رَبِّ، إِنَّكَ تَدْعُونِي فَأُولَى عَنكَ وَتَتَحَبَّبُ إِلَيَّ فَاتَّبَعُضْ إِلَيْكَ) هذه عبائرُ دُعَاءِ الافتتاح الَّذِي يَقْرَأُ فِي أَيَّامِ شهر رمضان، مروي عن إمام زماننا صلواتُ الله وسلامه عليه.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استدراج، يَفْتَحُ لَهُمُ الطريق، لا توجد عوارض، قَانُونُ التوفيق لا يشتغل معهم هنا، قَانُونُ الْخُذْلَانِ يرفعُ أمامهم العوارض، النَّاسُ تفهم بالمقلوب، حينما ترتفع العوارض يعدُّون ذلك توفيقاً، يمكن في بعض الأحيان، ولكن في الكثير من الأحيان رفعُ العوارض من الْخُذْلَانِ، خُصُوصاً فيما يرتبط في شؤون الدنيا في كثير من الأحيان.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

أنا لا أتحدثُ هُنَا عن الطعام والشراب واللِّبَاسِ وعن النَّوْمِ والصَّحَّةِ والجَنَسِ، هذه الأمور يمكن أن تسير على رسلها إذا لم يكن لها مساس في مصير الإنسان العقائدي، ويمكن أن تتعثر إذا كان لها مساس في المصير العقائدي، مدارُ الإنسان ليس في طعامه وشرابه، فما الله ببخيلٍ فيحاسبُ الإنسان على طعامٍ أو شرابٍ أحلَّه له، أبداً، الله أَجَلٌ وَأَكْرَمُ من ذلك، ولكن طبيعة الإنسان وكذلك طبيعة الحياة من حوله والملابس الَّتِي نعيشها

هي التي قد تُنْغِصَ علينا طعامنا وشرابنا وسائر الأمور الأخرى، نحنُ في شبكةٍ مُعَقَّدةٍ من الطُّروفِ والعلاقات والروابط فيما بيننا وبين أنفسنا، فيما بيننا وبين بواطنِ خلجاتنا النفسية وضمائرنا، فيما بيننا وبين القريبين منا، من الأرحام، من الأصدقاء، من الزملاء ومن غيرهم، فيما بيننا وبين سائر التكوينات الأخرى، فيما بيننا وبين عالم السياسة وعالم الاقتصاد وعالم الثقافة وعالم الإعلام، شبكةٌ مُعَقَّدةٌ من العلاقات والروابط والاتصالات، كُلُّ ذلك يترك تأثيره على مصيرنا العقائدي وبالتالي تترتب الآثار حتى على طعامنا وشرابنا ولباسنا وسائر ما يرتبط بمعاشنا اليومي.

هذه الأمور كُلُّها تدخلُ تحت طائلة قانون التوفيق والخُذلان، فقد يَحْرَمُ الإنسانُ من شيء هو يلتذُّ به، وقد يَزَادُ هذا الشيء، وكُلُّ ذلك من تدابير هذا القانون، فالقانونُ الأعلى قانونُ البداء، تفاصيلُ قانون البداء في التوفيق والخُذلان، وتحت هذه القوانين الواسعة: قوانينُ التوفيق والخُذلان، تندرجُ مجموعة القوانين هذه التي من جعلتها الاستدراج، ومن جعلتها الإملاء.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ ﴿١٠١﴾ أَفَسِحَّ لَهُمُ الْمَجَالُ، مثلما فَسَحَ الله المجال لإبليس في المحاورة التي مرَّ ذكرها.

﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٠٢﴾ كَيْدُ الله ومكر الله قوانينه الجارية في عباده وخلقه.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٠٣﴾ والحديثُ هنا "إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ" الإشارةُ إلى عواقبِ ما سيجري على الإنسانِ بسبب كيد الرحمن.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٠٤﴾ متأنه الكيد هنا في دقة الكيد وخفائه وفي عدالته وفي صُعوبة النتائج وما يؤوُلُ إليه أمر ذلك الكيد.

ماذا نقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي؟ (إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ -لأنَّكَ إِذَا أَدَّبْتَنِي بِعُقُوبَتِكَ إِنِّي لَا أَطِيقُهَا، عُقُوبَتُكَ شَدِيدَةٌ، لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ فِي الدُّنْيَا- إِلَهِي لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ وَلَا تَمْكُرْ بِي فِي حِيلَتِكَ).

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ شيئاً فشيئاً هم يتهادون في سيرهم إلى الحفرة المظلمة، إلى حفرة الأفاعي.

﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٠٦﴾ لماذا لم يقفوا قليلاً ويفكروا؟!

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مِّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ يتفكروا، التفكّر هو فكرٌ بعد فكرٍ بعد فكرٍ، لماذا لم يقفوا ويمعنوا النظر؟! هذا النذير الذي ينذرهم لماذا لم يتفكروا في أحواله؟! ألا يملكون عقلاً؟! نعم هم يملكون عقلاً ولكن الإحداثيات خاطئة.

نعود إلى ما جاء في الآيات المتقدمة: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ) سنستدرجهم مثلما تأخذ الغرائز والطبائع المودعة في الأنعام تأخذ الأنعام في طريقها وتقود الأنعام إلى ما تتحرك فيه وما تقوم به، هؤلاء ليست الغرائز المودعة فيهم التي أودعها الله فيهم، هؤلاء غرائزهم، طبائعهم عبث بها الشيطان، وهم بأعمالهم عبثوا فيها، فتهدم البناء الفطري وتهدم البناء العقلي، الإحداثيات خاطئة، التحليل خاطئ، لذلك ساروا في الطريق الذي أدى بهم إلى تكذيب آياتنا، فبعد أن كذبوا بآياتنا هم قادوا أنفسهم إلى طريق هذا الطريق محكوم بقانون الاستدراج، ومحكوم بقانون الإملاء.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ ﴿٣﴾ مِنْ جِنَّةٍ﴾ من جنون، الجنَّة والجنون بمعنى واحد.

﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ والحديث هنا عن قريش، عن اليهود، عن الذين وصفوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون، ويمكن في أيامنا هذه أن يصفوا الدين بالجنون، أولئك الذين يرفضون الدين في أيامنا ويعتبرونه خرافة أو تخلفاً هو وصف بالجنون لهذه المنظومة ولهذه المبادئ.

﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ﴾ نذير واضح مشخص من خلال تأريخه الذي يعرفونه، من خلال مواصفاته، وملكاته، ومواهبه، ومن خلال مسيرته فيما بينهم، ومن خلال أخلاقه وخصاله التي يعرفونها، ومن خلال منطقهم وما يطرحه بينهم وما يدعوهم إليه، كل هذا يستلزم من الإنسان العاقل أن يتدبر فيه وأن يتفكر فيه، فإذا ما قام بذلك فإنه سيهتدي إلى نقطة مضیئة، هذه النقطة المضیئة ستقوده إلى نقطة أخرى، الخطوة الصحيحة الأولى تقود الإنسان إلى خطوة صحيحة ثانية وهكذا، والخطوة الخاطئة الأولى تقوده إلى خطوة خاطئة ثانية، وهكذا الكذب يجر الكذب، والصدق يجر الصدق، والتكذيب يقود إلى تكذيب وبعد ذلك يقود إلى العناد، وشيئاً فشيئاً نحارب الحق، هكذا تجري الأمور في حياتنا، في حياتنا الدنيوية أو الدينية، في حياتنا الشخصية أو العامة هكذا تجري الأمور.

﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ﴾ هذه كلمة "الصاحب" فقط ومضة سريعة، الآية هنا تصف رسول الله بأنه صاحب لقريش، وقريش أناس ضلال مشركون هم أعداؤه ومع ذلك القرآن يصف رسول الله بأنه صاحب لقريش.

﴿أُولَئِكَ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ فرسول الله صاحب لهؤلاء الكفرة، لهؤلاء الأنجاس، لهؤلاء الأزدال.

ومضة سريعة، آيتان وسؤال:

في سورة التوبة في الآية الأربعين: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ)، (مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ) رسول الله صاحب لقريش، رسول الله صاحب لأبي بكر وأبو بكر صاحب لرسول الله.

الآية هكذا تقول: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ فرسول الله صاحب لأبي بكر وأبو بكر صاحب لرسول الله.

والآية هنا في سورة الأعراف: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾ مَنْ هُمْ هؤلاء؟ هؤلاء قريش، هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا بنحو عام، فهم أصحاب رسول الله، ورسول الله صاحبهم.

إذا ما ذهبنا إلى سورة آل عمران في الآية الحادية والستين: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ كم هو الفارق بين نفس الإنسان وصاحب الإنسان؟! كم هو الفارق؟! هذه النقاشات الموجودة على طول التأريخ: علي أفضل، أبو بكر أفضل، كم هو الفارق في القرآن، في موازين القرآن؟!

﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ هذا علي نفس محمد.

وهذا أبو بكر صاحب محمد.

كم هو الفارق بين نفس محمد وبين صاحب محمد؟! أنتم قولوا.

صاحب محمد كان حزيناً ولا يعلم أن الله معهم، لذلك رسول الله ماذا قال له؟ قال: لا تحزن إن الله معنا، فلما نزلت السكينة نزلت على رسول الله فقط، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ قول القائلين من أن السكينة نزلت على أبي بكر، الجنود أيضاً نزلت على أبي بكر؟! ما هذا الهراء من القول؟! ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ ما نزلت السكينة على أبي بكر في الآية.

بينما في نفس سورة التوبة في الآية السادسة والعشرين: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ فالسكينة هنا نزلت على رسول الله وعلى المؤمنين في واقعة حنين.

لماذا هنا ما نزلت السكينة على أبي بكر مع أنه كان مع رسول الله، المؤمنون في واقعة حنين فروا من المعركة وبعد أن فروا رجعوا ومع ذلك نزلت السكينة عليهم في الآية السادسة والعشرين: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾.

سؤال: لماذا ما نزلت السكينة هنا على أبي بكر في الغار ونزلت على رسول الله فقط؟!

بينما في الآية الحادية والستين من سورة آل عمران: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ فإن رسول الله قدّم علياً يتوسّل به إلى الله، قدّم أبناءه ونساءه، قدّم حسناً وحسيناً وفاطمة وعلياً، إذ ليس من المنطقي أن يقول: وأنفسنا، ثم يقول: ثم نبتهل، وإمّا قدّم هؤلاء وبعد ذلك هو يبتهل، لأنّ الذي كان يبتهل هو رسول الله، وهؤلاء قدّمهم وسيلة بين يديه، كم هو الفارق بين من يقال عنه نفس محمد... أنا هنا لا أريد أن أقارن.

لكنني في الحقيقة أجيب على سؤال أردت أن أضمنه في حديثي وأنا أشرح الآيات وهو لا يخلو من فائدة للجميع، هو جواب على سؤال لبعض المؤمنين.

- كم هو الفارق بين من يوصف بأنه نفس محمد وبين من يوصف بأنه صاحب محمد؟!
 - كم هو الفارق بين من يوصف بأنه صاحب محمد وحين تنزل السكينة عليه تنزل على رسول الله فقط لا تنزل على صاحب محمد؟!
 - بينما أصحاب محمد الذين فروا في معركة حنين ورجعوا حين نزلت السكينة على رسول الله نزلت عليهم أيضاً.

فنزلت السكينة على المؤمنين المخلصين مع رسول الله وما نزلت على أبي بكر في الغار، وأبو بكر كان حزيناً ولم يكن يعلم أن الله معهم، لذلك رسول الله قال له: لا تحزن.

والسؤال هنا: هل كان حزن أبي بكر طاعة أم معصية؟ إذا كان طاعة لا يمكن أن ينهاه رسول الله عن الطاعة، هل كان معصية؟ يمكن، لذلك نهاه رسول الله عن الحزن، إما أنه كان معصية أو كان نقصاً فقال له: لا تحزن، أو كان حزنًا من جهله فقال له: لا تحزن إن الله معنا.

كم هو الفارق بين شخص هكذا وبين شخص يقدمه محمد وسيله إلى الله؟! فهل يمكن أن يقدم محمد الكامل وسيله إلى الله فيها شيء من النقص؟! يمكن هذا!!! ماذا تقولون أنتم؟!

على أي حال، نعود إلى سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ صاحبهم ما هو مجنون، كل هذه الكمالات الظاهرة فيه هم يعلمون أنه ما هو مجنون، ولكن ماذا يصنعون لأبد من دعايات، مثلما مر الحديث في قصة فرعون وموسى، هم يعلمون أن موسى ما هو بساحر ولكن يقولون ساحر، ويعلمون أن الشؤم ليس من موسى ولكنهم يعلّقون شؤمهم على موسى، وحينما يتضايقون يلجأون إليه، لو كانت القضية قضية سحر لماذا لم يذهبوا إلى سحرتهم وإلى سحرهم هم وقد بلغوا الذروة فيه في أيامهم؟! لماذا يلجأون إلى موسى؟ لأنهم يعرفون أن موسى على الحق، وكذاك هؤلاء هم يقولون عن محمد صلى الله عليه وآله: إنه مجنون، لكنهم هم يعلمون هو الأكثر عقلاً والأكمل عقلاً والأكثر حكمة، هذا محمد، هذا الصادق الأمين، هذا الذي كانوا يتفاءلون بالنظر إلى وجهه الكريم، هكذا كانوا يفعلون، (وأبيض يستسقى الغمام بوجهه) كما يقول أبو طالب صلوات الله وسلامه عليه، وهذا البيت كان يحبه رسول الله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
مأل اليتامى عصمة للأرامل

يَا مُحَمَّدُ.. يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيَّ، يَا عَلِيَّ يَا مُحَمَّدَ، اكْفِيَانَا فَإِنَّكُمَا كَافِيَانَا، وَأَنْصُرَانَا فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانَا..

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مَبِينٌ﴾ لو تفكروا في شأن محمد صلى الله عليه وآله لوصلوا إلى هذه النتيجة من أن محمداً يرتبط بعالم غيبٍ وسيعٍ فسيح عميق.

في الآية الخامسة والثمانين بعد المئة: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ هم قطعاً لم يفعلوا هذا، ولكن لو أنهم سلكوا في الطريق الصحيح، لو أنهم استجابوا للمنطق، لو أنهم استجابوا لنداء الفطرة في بواطن ضمائرهم إذا لم تكن قد هُدمت تلك الفطرة وبدأت تُعطي إحداثيات خاطئة، لو أنهم استجابوا لكل تلك المحفزات ونظروا ما حولهم ونظروا فيما استطاعوا أن يصلوا إليه من حقيقة الخلق.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نحن لا ندرك ملكوت السماوات والأرض، الملكوت هو حقيقة السماوات والأرض، والملكوت نحن لا نستطيع أن ندركه بحواسنا، يمكننا أن ندرك بحواسنا عظيم الخلقة مما يرى، والعلوم المعاصرة والتلسكوبات الأرضية وحتى التلسكوبات السماوية، الآن هناك تلسكوبات موجودة في الفضاء تتحرك، تلسكوبات السماء أو تلسكوبات الأرض رصدت ما رصدت، ولكن ذلك لا يشكل شيئاً، هذا إدراك لجزء من الجانب الحسي، نعم قد يشير إلى عظمة الملكوت، ملكوت السماوات والأرض حقيقة ما وراء الحس، وهي أعظم بكثير مما نتحسسه بحواسنا، لكن الذي نتحسسه بحواسنا قد يكون مشيراً إلى عظمة ملكوتها.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾، ثم تقول الآية: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ دعكم من كل هذا، دعكم من محمد، ودعكم من ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله، ألا يمكن أن يموتوا في هذه اللحظة؟ أفلا يسألون أنفسهم نحن إذا متنا إلى أين نذهب؟ ألا يمكن أن يكون محمد صادقاً فيما يقول؟

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، ثم تتساءل الآية: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ فبأي حديث بعد حديث محمد يؤمنون، حديث محمد هو القرآن، حديث محمد هو بيانه، بيان محمد الذي هو بيان للقرآن، فالقرآن قرآن محمد، والبيان بيان محمد صلى الله عليه وآله.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ لو تفكروا في شأن صاحبهم وما يقول، لعرفوا أن محمداً نذير مبين، ولكن دعونا من هذه.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ لم لا يتفكرون فيما حولهم من عظيم خلق الله؟ أليس من مالك؟ أليس من رب من وراء كل هذا؟ دعونا من هذا.

﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ - ألا يمكن أن يموتوا في هذه اللحظة؟ هل يملك أحد صكاً في أنه لا يموت؟! فإذا مات إلى أين يذهب؟ هل يتحول إلى تراب كما يعتقدون؟ يمكن، ولكن هل يملكون ضماناً أن كلام محمد ليس صحيحاً؟ يمكن أن يكون صحيحاً - فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ؟

هؤلاء كما وصفت الآيات: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

ثم تقول الآية السادسة والثمانون بعد المئة: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ هؤلاء أضلهم الله، أضلهم الله بحسب القوانين، بحسب ما فعلوا، وبحسب ما قالوا، وبحسب ما زرعوا، وبحسب ما حصدوا.

﴿مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ لأنَّ قوانين الله لا تختلف ولا تتخلف، هذه سنن الله لا تبدل لسننه.

﴿مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمه هو الضلال والتهيه، أكثر من العمى، كما يقولون: (زيادة المباني دلالة على زيادة المعاني) يعمون ويعمهمون، الكلمة هنا مزيده، العمه هو الضلال والتهيه بنحو أفسى وأشد وأقوى من العمى.

﴿مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ - إذا انطبق عليه القانون فماذا يكون؟ تنطبق القوانين - وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يتركهم بعد ذلك، يذرهم في طغيانهم يعمهمون، بحسب كلمات أهل البيت: يكلهم إلى أنفسهم، والويل للإنسان إذا أوكله الله إلى نفسه، الويل للإنسان، الويل للإنسان إذا أوكله الله إلى نفسه طرفه عين فإنه سيعبث بنفسه عبثاً عظيماً، لو أنَّ الإنسان أوكل إلى نفسه طرفه عين سينتهي، ينتهي هذا الإنسان، الويل للإنسان، أشدَّ عقوبة للإنسان، وأنا أتحدث في أجواء مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أشدَّ عقوبة من إمام زماننا إذا ما أوكل أمورنا إلينا، الويل لنا إذا بلغنا إلى هذا الحد، إذا أوكل إمام زماننا أمرنا إلى أنفسنا فهو التيه المحقق والنهائية المظلمة المؤكدة.

الآية تتحدث عن هذا المضمون كما تقول كلماتهم الشريفة: (وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يكلهم إلى أنفسهم، كما في أمثال العرب يقولون: باحث عن حتفه بظلفه، قصه هذا المثل:

أحد أراد أن يذبح الخروف، قصاب أراد أن يذبح الخروف، فنسي سكينه، فأخذ يبحث يميناً وشمالاً عن حديدة، عن قطعة من سلاح، عن سكين يذبح به الخروف، ما وجد، الخروف بظلفه، برجله أخذ يحفر بالأرض فأخرج سكيناً تحت التراب، فأخذ القصاب تلك السكين وذبح بها الخروف، فسار مثلاً: (كالباحث عن حتفه بظلفه).

الإنسان هكذا إذا ما أوكل إلى نفسه يكون بالضبط ينطبق عليه هذا المثل وأسوأ من هذا المثل: كالباحث عن حتفه بظلفه، وأوضح مصاديق ذلك: الأحمق، فإنَّ الأحمق يريد أن ينفع نفسه فيضرها، ولذا الأئمة يأمرونا ويعلموننا أن لا نصاحب الأحمق، إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وكذلك يعمل مع نفسه.

﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الأحمق بشكل علمي واضح هو الذي يجهل جهلاً مركباً، أوضح مصداق من مصاديق الأحمق لأنه جاهل ويجهل أنه جاهل ويتصور أنه عالم، وهذه من أكبر المشاكل عند رجال الدين، أكثر رجال الدين جهال بالجهل المركب، وقد أكون أنا منهم، قطعاً مساحة من حياتي فيها جهل مركب وأتصور أنني على علم بها، ما منّا أحد يخلو من الجهل المركب، كلنا، أنا وأنتم والجميع، هناك واحد فقط يخلو من الجهل المركب اسمه: الحجة بن الحسن، تعرفونه؟ لا أدري، واحد فقط اسمه: الحجة بن الحسن، هذا الذي وجوده يخلو من الجهل المركب مطلقاً، أما أنا وأنتم والبقية بلا استثناء هناك مساحة في حياتنا يسودها الجهل المركب، لكن المشكلة إذا كانت مساحة العقل بالكامل جهلاً مركباً هذه هي الطامة، هذه هي الطامة، وكثير من رجال الدين هكذا، ممن توضع لهم الألقاب والأوصاف وإلى آخره، كثير منهم هكذا، ليس فقط في الوسط الشيعي، أنا أتحدث الآن عن الوسط الشيعي، ولكن هذه الظاهرة في رجال الدين عبر التاريخ، إن كان في الذين كانوا يديرون معابد الأصنام أو الآن يديرون

معابد الحيوانات والحشرات أو في الجو المخالف لأهل البيت أو في الكنائس أو في أي مكان، الجهل المركب ظاهرة واضحة في رجال الدين وعلماء الدين على طول التاريخ وفي يومنا هذا، ولا يعترفون بذلك ويكابرون ويخدعون أنفسهم ويخدعون الناس على أنهم على علم وفهم، ويصدرون الفتاوى والآراء ويحكمون على الآخرين وهم لا يملكون معطيات حقيقية، وحينما يسألون يجيبون وهم ليسوا متأكدين من أجوبتهم.

أنا أذكر حينما كنت في مدينة قم أحد المشايخ من المبلّغين بعد أن رجع من فترة التبليغ زارني وسألني مجموعة من الأسئلة، واضح من الأسئلة هذه أسئلة الناس الذين كان عندهم في فترة التبليغ، فقلت له: يبدو أن هذه الأسئلة هي أسئلة الناس، قال: نعم، سألته: وأنت هل أجبتهم أو تأخذ الجواب مني وبعد ذلك تعود إليهم؟ قال: لا أنا أجبتهم، قلت: كيف أجبتهم وأنت لا تعرف الأجوبة وها أنت تسألني؟ فماذا قال؟ قال: والله أنا ما كنت أدري أنا هم عندي معلومات، لأن الأجوبة التي جاوبتهم بيها تشبه هذه الأجوبة، يعني هناك أجوبة حقيقية وهناك أجوبة شبيهة، هذا ماذا تسمونه؟! مثل هذه الحالة موجودة بكثرة إن لم تكن هي الحالة المسيطرة، مسيطرة في أجواء الخطباء، أجواء وكلاء المراجع، أجواء المبلّغين، هي هذه الحالة الشائعة المسيطرة، يجيبون على أسئلة الناس من دون علم، جهل مركب ووقاحة أكثر تضاف على الجهل المركب، يعني هذه حماقة وفوق الحماقة وقاحة وسفاهة، هكذا أنتم تعيشون في هذه الأوساط، هذا هو الواقع، صراحتي قد تكون فجأة في بعض الأحيان، لكن صراحتي هي الشيء الوحيد الذي لن أتركه، سأبقى عليها وإن كان يزعج الآخرين.

﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

الآية (187) والآية (188) آيتان مهمتان جداً، أرى أن الوقت صار طويلاً لذلك بنحو سريع سأكمل معاني الآيات المتبقية.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ الساعة في الكتاب الكريم ساعة الظهور الشريف وساعة الحساب في يوم الدين، ولا أريد أن أخوض الآن في هذا الموضوع، هنا "يسألونك عن الساعة" بحسب السياق التنزيلي الحديث عن يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ مرساها يعني وقتها، كما يقال: مرسى السفينة أو مرسى السفينة، حينما تصل السفينة إلى المكان الذي تقف فيه وتربط، تربط بالحبال، كي لا يأخذها الماء بعيداً، فيقال: مرسى ومرسى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ -متى ستحل؟ متى ستكون؟- قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ لَا يُجَلِّيهَا؛ لَا يَظْهَرُهَا، لَا يَبِينُهَا- لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ -ثَقُلَتْ في السماوات والأرض؛ عَظُمَتْ، فهي عظيمة ثقيلة على هذا الوجود- لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً -بنحو مفاجئ- يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا -حفي؛ عالم خبير- قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الخلاصة ما هي؟ رسول الله لا يعلم بالساعة، هل حقيق ذلك؟! أي منطق هذا؟! رسول الله يعلم بالساعة، كيف لا يعلم رسول الله بالساعة؟! أي منطق هذا؟! علمه علم الله سبحانه وتعالى.

الآية التي بعدها: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ﴾ كُلُّ شيءٍ بيده سبحانه وتعالى، وما عند محمدٍ هو من الله.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ولكن هذا اللسان هو لسان حالي أنا وأنت وأنتِ وسائر الموجودات.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ -السوء؛ الفقر، المرض، أي شيء- وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هذا المنطق منطقي أنا، منطقتنا نحن، والقرآن نزل بهذا اللسان، بلسان: (إياك أعني واسمعي يا جارة) هذه قاعدة عامة، إذا أردنا أن نطبقها هنا فإن الألفاظ صادرة من رسول الله ولكن المضامين هي مضاميننا، أنا الذي أقول: لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله، أنا الذي أقول: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، (لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) لذهبتُ أبحثُ عن مواطن الخير وما فيه المنفعة لي باعتبار أنني أعلم الغيب، وما سعيْتُ في الطريق الذي يؤدي بي إلى الفقر، يؤدي بي إلى المرض، يؤدي بي إلى الضرر.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هو استمرار لنفس لسان التنزيل بمنطقي: (إياك أعني واسمعي يا جارة) هذه القاعدة العامة، أما إذا أردنا بالنحو الخاص هاتان الآيتان ما معناهما؟ هاتان الآيتان لن يتضح معناهما من دون حديث أهل البيت.

لنذهب إلى تفسير القمي، ماذا يقولون؟ إِنَّ قُرَيْشًا بَعَثَتِ الْعَاصَ بْنَ وَائِلِ السَّهْمِي، هذا هو الذي نُسبت إليه النابغة عمرو، عمرو بن العاص، هو ما كان أباً لعمرو بن العاص، لأن عمرو بن العاص اختلف فيه مجموعة من الرجال، وكان شبيهاً بأبي سفيان، عمرو بن العاص في شكله كان شبيهاً بأبي سفيان، أمه النابغة زانية معروفة من الزانيات المشهورات، وكثير من الصحابة أمهاتهم من الزواني المعروفات في مكة أو في الطائف، فالنابغة أم عمرو بن العاص كانت زانية معروفة من ذوات الأعلام، وكانت زانية رخيصة فزنى فيها الكثيرون وولد عمرو بن العاص واختلفوا حوله مجموعة من الزناة، فهي النابغة هذه الزانية تقول: كان يشبه أبا سفيان، لكن أبا سفيان كان بخيلاً، ما يذكر في الكتب من كرم أبي سفيان هذا كذب، في كتب المخالفين أن هند جاءت إلى رسول الله تستفتيه تسأله تقول: يا رسول الله، أبو سفيان رجلٌ بخيل، أحل لي أن أسرق... -هذا في كتبهم، في كتب المخالفين، في صحاحهم، في كتب تفسيرهم وسيرهم- أحل لي أن أسرق من مال أبي سفيان ما أتقوت به؟ ما تتقوم به لأمر معاشها، فأبو سفيان كان بخيلاً جداً إلى الحد الذي هند تريد أن تسرق منه لأجل أن ترتب أمور معاشها، لذلك النابغة ألحقت..

وعلى هذه فقس ما سواها

هذه من علاه إحدى المعالي

لذلك النابغة ألحقت عمرو بالعاص بن وائل السهمي، والعاص ماذا كانت مهنته؟ كان قصاب، لكنه كان ينفق على النابغة، كان ينفق عليها ويأتيها باللحم، فقالت: إن عمرو هذا هو ابنه، لأنه ينفق عليها، وإلا فهو أشبه الناس بأبي سفيان، ذرية بعضها من بعض طابت وطهرت!!!

إِنَّ فُرَيْشًا بَعَثَ الْعَاصَ بْنَ وَائِلَ السَّهْمِيِّ وَالنَّظَرَ بْنَ حَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ -وهذا كان قَوَادًا الحارث بن كilde، ما شاء الله!!!- إِنَّ فُرَيْشًا بَعَثَ الْعَاصَ بْنَ وَائِلَ السَّهْمِيِّ وَالنَّظَرَ بْنَ حَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ وَعُتْبَةَ، وَرَبَّمَا عُقْبَةَ هُوَ وَلَيْسَ عُتْبَةَ، هَذَا عُقْبَةَ، عَلَى أَيْ حَالٍ، رَّبَّمَا عُتْبَةَ لَهُ أَخٌ، هُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مَعِيْطٍ، وَتَفْسِيرُ الْقُمِّيِّ تَعْرِضُ إِلَى تَحْرِيفٍ، أَيْضًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَعْرِضُ إِلَى تَحْرِيفٍ، هَذَا وَالِدُ الْوَلِيدِ بْنُ عُقْبَةَ الْفَاسِقِ، هَذَا الَّذِي كَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي الْكُوفَةِ وَهُوَ سَكَرَانٌ، وَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ ثَمَانِيَةَ رَكَعَاتٍ، فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَقَالَ لَهُمْ: هَلْ أَزِيدُكُمْ؟ لَمَّا وَقَفَ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي كَانَ يَغْنِي بِهَا الْمَغْنُونُ:

عَلَّقَ الْقَلْبُ الرَّبَابَا

بعدما شابت وشابا

وأخذ يغني بدلاً من قراءة الفاتحة ولما ركع بدل أن يقول: سبحان ربي العظيم وبحمده، كان يقول: اشرب واسقني، والأمة تُصَلِّي خلفه، صلاة مقبولة!!! هذا هو والد الوليد بن عقبة بن أبي معيط، والوليد بن عقبة كان أخاً لعثمان من أمه أروى، لأن أروى أيضاً تزوجت هذا عقبة بن أبي معيط، على أي حال، أنا لا أريد أن أتحدث عن التاريخ هنا ولكن لا أدري وردت الأسماء لأبد من الإشارة إلى تعريفها.

إِنَّ فُرَيْشًا بَعَثَ الْعَاصَ بْنَ وَائِلَ السَّهْمِيِّ وَالنَّظَرَ بْنَ حَارِثِ بْنِ كِلْدَةَ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيْطٍ إِلَى نَجْرَانَ -نجران موضع معروف في جزيرة العرب- لِيَتَعَلَّمُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ مَسَائِلَ -كان فيه نصارى، وربما كان فيما يجاوره يهود- لِيَتَعَلَّمُوا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ -وربما المراد من علماء النصارى- مَسَائِلَ وَيَسْأَلُوا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَانَ فِيهَا سَلُوا مُحَمَّدًا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، فَإِنْ ادَّعَى عِلْمَ ذَلِكَ فَهُوَ كَاذِبٌ -بحسب ثقافة النصارى واليهود، أنبياءهم لا يعرفون علم الساعة وليس محمداً، فالإجابة كانت من رسول الله وفقاً لقانون المداراة- وَكَانَ فِيهَا سَلُوا مُحَمَّدًا مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، فَإِنْ ادَّعَى عِلْمَ ذَلِكَ فَهُوَ كَاذِبٌ فَإِنَّ قِيَامَ السَّاعَةِ لَمْ يُطْلَعْ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلًا، فَلَمَّا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا...) إلى آخر الآيتين.

كيف فهم علماءنا هاتين الآيتين؟

فهموهما مثلما فهم النصارى واليهود والنواصب وفسروا هذه الآيات مثلما فسرها أعداء أهل البيت، أما منطق أهل البيت فهو هذا، فهذه الآيات جاءت بلسان المداراة، فهؤلاء القريشيون ذهبوا إلى علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى يريدون أسئلة محرجة للنبي، فالنبي أجابهم مثلما أخبروهم علماء أهل الكتاب، لأجل إقامة الحجة على هؤلاء وعلى أولئك، فإننا نكلم الناس على قدر عقولهم، وهكذا نزل القرآن، نزل القرآن يكلم الناس على قدر عقولهم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً - بَنحَوْ مَفَاجِئَ - يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا - حَفِيٌّ عَالِمٌ، خَبِيرٌ - قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الآية التي بعدها: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ الناس هم يُؤْلَهُونَ الحِجَارَةَ، وكذلك النصارى أَلَهُوا نَبِيَهُمْ، فالنبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم يؤكِّد الوجهة البشرية في سيرته لئلا يضلَّ الناس ويؤْلَهُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى الله عليه وآله وسلم وبالتالي تنهدم عقيدة التوحيد التي جاء من أجلها، ولسان الآية هو لسان حالي وحالكم.

الآية التي بعدها التاسعة والثمانون بعد المئة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (خلقكم من نفس واحدة)؛ أبونا آدم، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا - وجعل من نوعها أَمْنًا حَوَاءً، فأَمْنًا وأبونا من نوع واحد - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، صُورَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ، وآدَمَ عَلَى صُورَةِ مُحَمَّدٍ، وَحَوَاءً عَلَى صُورَةِ مُحَمَّدٍ، إِنَّهَا عَلَى صُورَةِ فَاطِمَةَ وَفَاطِمَةَ نَفْسِ مُحَمَّدٍ، (فاطمة رُوحِي التي بين جنبي).

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - أبونا آدم - وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أَمْنًا حَوَاءً، فهما من نوع واحد، من صورة واحدة، تلك الصورة صُورَةُ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، وَصُورَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ، الكائنُ الأكمل، ليس الحديث هنا عن مُحَمَّدٍ الَّذِي وُلِدَ فِي تَارِيخٍ كَذَا، نحنُ هُنَا فِي هَذَا الْعَالَمِ مُقَيَّدُونَ بِالزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، أَمَّا فِي عَالَمِ الْحَقَائِقِ فَإِنَّ الْحَقَائِقَ لَا تُقَيَّدُ لَا بِزَمَانٍ وَلَا بِمَكَانٍ، وَإِنْ كَانَ لَهَا مِنْ مَكَانٍ فَمَكَانُهَا لَيْسَ مَكَانًا فِيزِيائيًّا كَمَكَانِهَا الَّذِي نحنُ فِيهِ، عَلَى أَيْ حَالٍ.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ - وتلك النفس أبونا آدم - وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا - من نفس نوعها، لذلك قيل: إنسان، مثنى إنس، فهذا إنس وهذا إنس، فالإنسان يأنس بمثيله، فكانت حَوَاءً أَمْنًا أُنَيْسًا لِأَبِينَا آدَمَ - وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا، لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا؛ لتهدأ نفسه معها، ليستأنس معها وبها فأَنَسَهُ معها وبها ومنها، وكذاك هي.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا - "تغشَّاهَا" تعبير كنائي يعني لَمَّا مَازَجَهَا وَقَارَبَهَا - فَلَمَّا تَغَشَّاهَا - تعابير القرآن عن الممارسة الجنسية في غاية الأدب والستر والبلاغة - فَلَمَّا تَغَشَّاهَا - أي قاربها - حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا - الحملُ في بَدَايَتِهِ لَا تَشْعُرُ بِهِ الْمَرْأَةُ - فَمَرَّتْ بِهِ، كانت تتنقل، تتحرك وتمشي هنا وهناك لأنها لا تستشعر بوجوده، حينما تكونت النطفة، عملية الإخصاب في بداياتها.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ - لَمَّا قَرَبَتِ الْوَلَادَةَ - فَلَمَّا أَثْقَلَتْ - بدأ الحمل ينمو شيئاً فشيئاً واقتربت أيام الولادة - فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا - الوالد والوالدة - لئن آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ - لئن آتَيْنَا مَوْلُودًا صَالِحًا، نتاجاً صالحاً، ذرية صالحة - بحسب الروايات إِنَّ أَمْنًا حَوَاءً كَانَتْ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ حَمْلٍ تُنْجِبُ تَوَامِينَ، بحسب الروايات تُنْجِبُ تَوَامِينَ ذَكَرًا وَأُنْثَى، ولذلك الآية فيها إشارة دقيقة: فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا - انعقدت النطفة ليست ثقيلة في بطنها، ولكن حين تكون التوأمين فالتوأمين ثَقِيلَانِ - فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لئن آتَيْنَا صَالِحًا - لئن آتينا

نتاجاً صالحاً، ذُرِّيَّةٌ صالحةٌ- **لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴿١٠﴾ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً** -لَمَّا جاءت الذرِّيَّةُ صالحةً، والمرادُ من الصلاح هنا صلاحُ الخلقة، كمالُ الخلقة، لا عيبَ في أولادهما- **جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ** ﴿١١﴾ بحسب روايات أهل البيت: "جعلاً" الضميرُ هنا لا يعودُ على أبينا آدم وأَمْنَا حوَّاء، وإمَّا الحملُ الصالحُ خَلْقاً وتكويناً من الذكور والإناث هذان الخَطَّانُ الذَّكَرَانِ والإناث هاتان المجموعتان هما بعد ذلك جعلاً لله شُرَكَاءَ، هؤلاء ذُرِّيَّةُ آدمَ جَعَلَا لله شركاءَ، وهذا مصداقُ آخر واضحٌ جداً من أنَّ القرآن لا نستطيعُ أن نفهمهُ أبداً من دون حديث أهل البيت، لأنَّه ليس من المنطقي أن أبانا آدم وأنَّ أَمْنَا حوَّاء صلواتُ الله عليهما أن يكونا مُشركين، لا يمكن هذا، لا نستطيع أن نتصور هذا المعنى فيهما.

﴿١٢﴾ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً** -تكويناً خَلْقاً، هذان الخَطَّانُ، هذان التوأمين، ليس على وجه التعيين هذان التوأمين، وإمَّا أولاد آدم ذكوراً وإناثاً- **جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴿١٣﴾ يعني أنَّ الشرك انتشر أين؟ انتشر في أولاد أبينا آدم، وهذه حقيقةٌ موجودةٌ على أرض الواقع.

﴿١٤﴾ **أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ** ﴿١٥﴾ هناك روايات وتفاصيل أخرى بشأن هذه الآيات ولكنني لأجل الاختصار أطوي كشحاً عنها، وإلاَّ يمكنني أن أورد روايات أخرى تتناول هذه الآيات، طلباً للاختصار وطلباً للإيجاز ولأنَّ الحلقة طال وقتها كثيراً لذلك سأترك هذه الروايات لوقتٍ آخر في مناسبةٍ أخرى.

﴿١٦﴾ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** -أبونا آدم- **وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا** -أَمْنَا حوَّاء- **لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** -ليستأنس معها وبها- **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا** -قاربها- **حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً** -في بداية تكوين النطفة- **فَمَرَّتْ بِهِ** -وتنقَّلت من دون أن تشعر به- **فَلَمَّا أَثْقَلَتْ** -فلما قاربت الولادة- **دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا** -أبونا وأَمْنَا، آدم وحوَّاء- **لَنِئْ آتَيْنَا صَالِحاً** -من الذكور والإناث تكويناً كاملاً- **لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ** ﴿١٧﴾ **فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً** -هنا تأتي الروايات كي تُكَمِّلَ الصورة، فهذان الخَطَّانُ من الذكور والإناث- **جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ** -جعلاً لله شُرَكَاءَ- **فِيمَا آتَاهُمَا** -فيما آتاهما من نَعَمِهِ وآلائِهِ- **فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** -هو منزَّهٌ عن أن يكون له شريك، مَنْ هذا الَّذي يكون شريكاً لله؟!- **أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ** -هم أساساً مخلوقون ويأتون بمخلوقٍ لا يَخْلُقُ شيئاً ويجعلونه شريكاً للخالق- **وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** ﴿١٨﴾.

هذه المنظومات العقائدية التي نشأت، هناك من يعبدُ الأموات من أسلافه، هناك من يعبدُ الحيوانات، هناك من يعبدُ الأشجار، هناك من يعبدُ الأحجار ويعتقد أنَّ هذه المعبودات التي هو اخترعها بمساعدة الشيطان هي التي تؤثر في هذا الوجود وهو يراها محدودةً صامتةً لا تستطيع أن تنفع نفسها أو تضر نفسها، الشجرة ماذا تستطيع أن تفعل حتى تُعبد؟! والحيوانات ماذا تستطيع أن تفعل حتى تُعبد؟! ولكنَّ هذه العقول الفارغة السَّفيهة التي يحملها الناس هي التي عبدت ذلك.

﴿١٩﴾ **أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ** -هم أنفسهم الذين يعبدون يَخْلِقُونَ، والَّذين يعبدون يَخْلِقُونَ- **وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ** ﴿٢٠﴾ لا الداعي ولا الَّذي توجهوا إليه بالدعاء، لا أنا أخلق نفسي،

أنا مخلوق، ولا هذا الحجر الذي أعبدُهُ يخلق نفسه، الحجر مخلوق وأنا مخلوق، أنا لا أستطيع أن أنصر نفسي ولا هذا الحجر ينصرني ولا ينصر نفسه.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ❖ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ❖ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۖ هَؤُلَاءِ لَا يَمْلِكُونَ عَقُولًا، لَا يَمْلِكُونَ عَقُولًا سَلِيمَةً، وَإِلَّا كَمَا قَالَتِ الْآيَاتُ: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا).

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى -الهدى عنوانٌ لعلِّي، عليّ ومظاهره- وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ وَلِئَلِّي مَظْهَرٌ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الوجود وفي كُلِّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، (كُنْتُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ بَاطِنًا).

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ القضية واحدة، صامتون، متكلمون، مجادلون، مناقشون، القضية واحدة، هؤلاء عقولهم مَقْفَلَةٌ، أَقْفَلْتُ بِأَقْفَالِ شَيْطَانِيَّةٍ، (أَقْفَلًا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) هذه هي أقفال الشيطان.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ❖ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ❖ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ليس هناك من فارقٍ دعوتهم أو صمتهم وسكتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ -هذا خطابٌ لأولئك الَّذِينَ لَا يَنْفَعُ الْكَلَامُ معهم- إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ "عبادٌ أمثالكم" هذا العنوان ينطبق على البشر، للَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْبَشَرَ، ولكن كُلُّ شَيْءٍ هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ، حتَّى الْأَشْجَارِ، وَالْأَحْجَارِ، وَالْجَمَادَاتِ، كُلُّ شَيْءٍ هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ، فَالْعَبْدُ مَمْلُوكٌ، وَالْعَبْدُ خَاضِعٌ، وَالْعَبْدُ ذَلِيلٌ، وَكُلُّ الْأَشْيَاءِ خَاضِعَةٌ ذَلِيلَةٌ مَمْلُوكَةٌ مُسَبَّحَةٌ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ❖ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ هذه الأصنامُ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا وَهَذِهِ الْآلِهَةُ الْمَصْنُوعَةُ الَّتِي تَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهَا هَلْ يَسْتَطِيعُونَ الْحَرَكَةَ؟!

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ مِنَ الْبَطْشِ، الْفَعْلُ الشَّدِيدُ لِلْيَدِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْبَطْشَ بِالْيَدِ يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ فَاعِلَةٍ، إِلَى قُوَّةٍ شَدِيدَةٍ.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ -هذه مصنوعاتٌ أَنْتُمْ صَنَعْتُمُوهَا- قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا﴾ اَفْعَلُوا مَا تُرِيدُونَ أَنْ تَفْعَلُوا، اجْمَعُوا كُلَّ قُدْرَاتِكُمُ الشَّيْطَانِيَّةِ لِأَجْلِ أَنْ تُصَارِعُوا بِأَلْهَتِكُمْ إِلَهِي، وَاجْهُوا إِلَهِي بِأَلْهَتِكُمْ، أَلْهَتِكُمْ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْفَعُ نَفْسَهَا أَوْ أَنْ تَضُرَّ نَفْسَهَا فَضْلًا عَنْ أَنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْفَعَكُمْ أَوْ أَنْ تَضُرَّكُمْ.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ﴾.

لا تُنظرون؛ لا تتوقفوا، لا تتمهلوا، عجلوا عجلوا، هذا تحدٍّ من أقوى التحديات التي يتحدى فيها الأنبياء على طول الخط، ونبينا تحداهم أقوى التحديات، هذه التحديات تحديات الأنبياء ما هي تحديات تنطلق من عنجهية أو من عصبية أو من تفاخر، هذا تحدي الحق، الحق يتحدى، والحق له جبروت، وله كبرياء، وله سلطان، وله قوة لا تقاوم، حين أقول: لا تقاوم، لا أتحدث عن المنطق العضلي في مقاومة الحق أو عن المنطق الحسي، أنا أتحدث عن منطق العقل، فالحق منطق العقل، فإن العقول السليمة وإن العقول المنصفة لا تستطيع أن تواجه منطق الحق، لذلك الحكام كيف يواجهون منطق الحق؟ يواجهون منطق الحق إما بالتسفيه والدعائيات، وإما بقوة السيف، هم يعلمون أن منطق الحق لا يقاوم، لا تستطيع العقول السليمة، لا تستطيع العقول المنصفة أن تقاوم الحق، منطق الحق أقوى، ولذلك هنا منطق الحق يتحداهم، أنتم تعبدون حجارة، أي علامة من علائم الحياة في هذه الحجارة؟! (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا) ما أنتم تملكون ذلك، فلماذا تكونون عبيداً لشيء لا يملك شيئاً من الذي تملكونه؟! ثم إذا كانوا هؤلاء لا يملكون هذه القدرات فإنهم ما هم الذين أعطوكم هذه القدرات، ابحثوا عن الذي أعطاكم هذه القدرات، وإذا كان عندكم من ذكاء أو تخطيط فجيئوني به، (قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ) لا تتمهلوا، عجلوا بالأمر، عجلوا بأمركم، فإن الحق يتحداكم، إنني أتحداكم، لماذا؟ ﴿إِنَّ وَلِيَیَ اللّٰهُ الَّذِیْ نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ - أنا أعتمد على هذه الجهة - وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ.

﴿إِنَّ وَلِيَیَ اللّٰهُ الَّذِیْ نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ لماذا قال النبي: "نزل الكتاب"؟ يريد أن يقول لهم إنني أتحدث عن علم، وهذا العلم جاء من الجهة الأعلى، وأنتم تتحدثون عن جهل وجهالة وسفاهة، أنا صاحب العقل، وأنا صاحب المنطق، والعقل والمنطق لا يمكن أن يتعارض مع العلم، العلم الصحيح والعقل الصحيح والمنطق الصحيح لا يمكن أن يتعارض مع دين الله.

ولذا أقول لأولادي وبناتي: إياكم إياكم أن تصدقوا أحداً يخبركم عن دين محمد وآل محمد شيئاً يخالف العقل السليم، ويخالف المنطق السليم، ويخالف العلم القطعي، إن كان من علم الدين، وأعني بعلم الدين علم الكتاب والعقيدة، أو كان من علم الدنيا إذا ثبت قطعياً.

دين محمد وآل محمد، منهج الكتاب والعقيدة لن يتعارض مع العقل، مع العقل السليم في أي جهة من الجهات، ولن يتعارض مع العلم القطعي، لا يمكن أبداً، وإذا أسأنا فهم شيء من الدين فالسبب فينا، السبب فينا وفي فهمنا.

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ رجع الكلام حول هؤلاء العباد الذين يعبدون هذه الأبحار، يعبدون العجول، عجولاً بشرية، حجرية، يعبدون الأصنام، أصناماً بقرية، أصناماً بشرية، أصناماً حجرية، من أي شكل من الأشكال.

﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ -الهدى علي- وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿لَمَّا مَرَّتِ الْآيَةُ: (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ هم لا يبصرون لا من جهة الحس، حسياً يبصرون ولكن الإحداثيات خاطئة، النتائج التي يستنتجونها في جهاز التحليل عندهم تكون نتائج خاطئة.

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ "خذ العفو" بحسب أحاديث أهل البيت: العفو هو أوسط الأمور، (خير الأمور أوسطها) خذ العفو فإنك إذا أخذت أوسط الأمور تركت يمينها ويسارها، فخير الأمور أوسطها، وهو الأسهل للناس والمستسهل عندهم، وفيه الخير لهم، لذلك أحكام الدين بنيت على التسهيل، هذا الذوق الموجود في الجو الشيعي جاءنا من التأثير بفكر المخالفين، هذا ذوق حنبلي، هذه الاحتياطات الزائدة التي لا محل لها من الإعراب في فقه محمد وآل محمد وهي احتياطات خاطئة في أكثر الأحيان، لأنها تنتج من جمع بين النصوص، والأئمة ما أمرونا أن نجمع بين النصوص، وإمّا خيرونا بين النصوص، فارق بين حالة التخيير بين النصوص وبين الجمع بين النصوص، الأئمة وضعوا لنا أحكاماً مختلفة في كل موضوع وخيرونا بحسب ظروفنا وأحوالنا أن نختار هذا الحكم أو ذاك الحكم، علماؤنا على طريقة النواصب جمعوا الروايات واستنتجوا الاحتياطات، وأكثر هذه الاحتياطات ليست صحيحة، لا علاقة لها بآل محمد، لأن دين آل محمد بني على التسهيل.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ العفو مصطلح عند آل محمد هنا بحسب حديثهم هو الوسط، خير الأمور أوسطها خذ بأوسط الأمر.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ عند علمائنا العرف هو العرف الجاري بين الناس ولا بأس في ذلك، لا بأس في ذلك لأن كثيراً من الأمور في ديننا في أحكامنا مردّها إلى العرف، ولكن المراد من العرف هنا بحسب تأويل آل محمد -التأويل هو التفسير الحقيقي العرف- ولاية علي، فالعرف هو المعروف وأعلى درجات المعروف هو العرف.

خُذِ الْعَفْوَ -اعمل بقواعد التسهيل- وَأْمُرْ -بولاية علي- وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، الذين لا يريدون أن يأخذوا القرآن من علي، أعرض عن الجاهلين، أعرض عنهم.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ -تمسك بأوسط الأمور، اعمل بالتسهيل- وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ -وأمر بولاية علي- وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿فالجأ إليه، كيف نلجأ إلى الله؟ مر الحديث قبل قليل عن إمامنا الرضا، قرأت عليكم من الجزء الثالث

من تفسير البرهان روايات نقلها عن تفسير العياشي وعن كتاب (الاختصاص) لشيخنا المفيد، عن إمامنا الرضا: (إذا كانت لكم من حاجة شديدة فاستعينوا بنا على الله، فنحن حينما نستعيز بالله نحن نلجأ إليهم، معنى الاستعانة بالله أن نلجأ إلى إمام زماننا، إننا نتحصن بإمام زماننا، (وَلَايَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَصْنِي حَصْنِي) هو هذا الحصن الحصين، ولايته علي بن أبي طالب حصني، حصن منيع يحول فيما بيننا وبين جهنم، تصدر منا الذنوب، تصدر منا السيئات، لكننا نستعين بإمام زماننا أن يعيننا على أنفسنا بما أعان به الصالحين على أنفسهم.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا أصحاب التقوى من هم؟ أصحاب التقوى الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) أصحاب التقوى فعلاً المعنى الدقيق للتقوى: (ولايته علي، التقوى هي الوسيلة التي نتقي بها من النار، بماذا نتقي من النار؟ بصلاتنا وصيامنا؟! ما قيمته صلاتنا وصيامنا؟! صلاتنا وصيامنا لها قيمة إذا كنا قد تدرعنا بولاية علي، الدرع الحقيقي وولاية علي، إذا تدرعنا بولاية علي صلاتنا لها قيمة، صيامنا له قيمة حينئذ، من دون ولاية علي هذه تفاهات، صلى أم زنا الأمر سواء بالنسبة للذي يفتقد ولاية علي، صلى أم زنا أم سرق، هذه كلماتهم ما هي كلماتي، هذه كلمات الباقر والصادق، الروايات هذه في الكافي الشريف، راجعوا الجزء الثامن من الكافي الشريف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ طائف من الشيطان، طائف الشيطان؛ وسوسه الشيطان، غرور الشيطان، حبائل الشيطان، نفث الشيطان، نفخ الشيطان، كل ذلك طائف من الشيطان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾، "طائف" يعني ليس ثابتاً، يمكن أن يزول، جاءنا مسرعاً، تذكروا -هناك علاج- تذكروا فإذا هم مبصرون.

روايات الأئمة تقول: من أصعب الأشياء ومن أفضل الأشياء ذكر الله على كل حال، فحين يسألون الأئمة عن معنى ذكر الله على كل حال، قالوا: ما هو بذكر اللسان، ما هو سبحان الله والحمد لله، وإنما إذا ما عرضت المعصية للإنسان تذكّر الإنسان ربّه وارتدع، هذا هو ذكر الله على كل حال في ثقافة أهل البيت لا في ثقافة المخالفين، لا شأن لي بثقافة المخالفين، في ثقافة آل محمد ذكر الله على كل حال: إذا ما عرضت المعصية أمام الإنسان فتذكّر الله.

وأفضل حال يذكّر الله فيه هو هذا الحال، وإلا ذكر الله حسن إذا كنت جالساً في المسجد وأذكر الله فهذا شيء حسن، ولكن الأحسن هو هذا: حينما أواجه المعصية، حينما يوسوس لي الشيطان أقف أمام وسوسة الشيطان، هذا هو ذكر الله على كل حال الذي هو من أفضل العبادات، والذي هو من أصعب الأشياء على الإنسان، يحتاج إلى مجاهدة، يحتاج إلى تربية، يحتاج إلى سعي وإلى تفعيل كل الطاقات التي يمتلكها هذا الإنسان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ -إخوانهم من الجن، فالجن إخوان الإنس- وإخوانهم -إخواننا ليس من جهة النسب وإنما إخواننا

في الدين، إخواننا في الجنة والنار، إخواننا في العبادة، إخواننا في الخلقة- (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) أصرح آية في أخوة الجن والإنس هي هذه، هنا تتكون الأخوة بين الجن والإنس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ❖ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ﴿إِخْوَانُنَا الْجَنُّ هُمْ أَعْوَانُ إبليس، يستعين بهم، فيمدوننا في الغي، شياطين تُوسوس لنا وطائفة أخرى من الشياطين، فَإِنَّ الْجَنِّ شُعُوبٌ وَقَبَائِلُ وَأُمَمٌ، وشعوب وأمم وقبائل الجن يختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً، لا كاختلاف شعوب بني البشر، نحنُ قد نختلفُ باللغة، قد نختلفُ بلون البشرة، قد نختلفُ بأشياء أخرى، ولكن التشابه فيما بيننا كبيرٌ جداً، أما قبائلُ وشعوبُ الجان فهي مُختلفةٌ، فالأسامرةُ غيرُ الأفاترة وهما غيرُ الفراعنة وهؤلاء كُلُّهم شيءٌ والأبالسةُ شيءٌ آخر، والعفاريتُ شيءٌ آخر، والسَّحالي أُمَّةٌ أخرى وهكذا، هذه أُممُ الجن وقبائلهم، هكذا حدَّثتنا الرواياتُ والأخبارُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ❖ شياطين يوسوسون لنا، ومجموعةٌ أخرى من الجن من جند إبليس هؤلاء يتواترون علينا لتثبيت ذلك الوسواس.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ إخوانهم؛ إمَّا هم إخواننا، فالجنُّ إخواننا من جهةٍ من الجهات، وإمَّا هم إخوانُ الشياطين الذين جاءنا من قبلهم ذلك الطائف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ❖ وَإِخْوَانُهُمْ -إخوان البشر الجن- يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴿ لا يَقصرون؛ كما نقول هم لا يَقْصِرُونَ في عملهم، هم يَؤَاطِبُونَ على عملهم، وأهل الشر أكثر حرصاً على عملهم من أهل الخير، هذه القضية غريبة في حياة الإنسان، أهل الخير يتكاسلون وأهل الشر يتناشطون، أهل الخير تضعف هممتهم وأهل الشر تقوى هممتهم على شرهم، قطعاً إنني لا أتحدث عن أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان، ولكن هؤلاء قلَّةٌ وهؤلاء نُدرةٌ فيما بين الناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ -ييصرون بحالهم، يتذكرون عاقبة أمرهم- وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ❖ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَةٌ ﴿ هذه انتقالةٌ، أنا قلت هذه الآيات في آخر سورة الأعراف تتناول موضوعاتٍ مهمَّةٍ ولكنها مختلفة.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَةٌ﴾ الحديث عن النَّاسِ الَّذِينَ كَانَ يَعِيشُ نَبِينَا فيما بينهم، هذا الكلام صدر من قريش أيام كان النبي في مكة، وصَدَرَ من اليهود أيام كان النبي في المدينة، وصَدَرَ من نفس المنافقين، وحتى من نفس الصحابة، حوادث كثيرة، فالآية هذه يمكن أن تصدق على حالات كثيرة واجهت رسول الله.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَايَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ هم يريدون آيةً منك في كُلِّ قضيةٍ يطيب مزاجهم أن تكون فيها آية.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا - لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا! لولا جئتنا بآية تختارها لنا بحسب ما نريد- قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ والنبي كان يستعمل هذا الأسلوب في التعبير يريد أن يبين لهم من أن القرآن من الله ليس منه، لأجل أن يربط الأمة بهذه المنظومة العقائدية فهو في مرحلة التنزيل، في مرحلة التأويل الكلام يختلف.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ما آتيكم به من قرآن هذه بصائر، هذه أدلة وبراهين وحجج، هذه بيانات توصلكم إلى الحقائق وترشدكم إلى النهايات السعيدة.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾ لماذا أنتم تبحثون عن تفاهات الأمور؟! فهذا كلام الله يتناول أهم الأمور وأعلاها شأنًا، لماذا تبحثون في سفاهاتكم وتدورون حول حماقاتكم؟!

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا - في هذا الموضوع أو في ذاك- قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي - وهذا القرآن خلاصته هي هذه- هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾ متى ما آمنتم ستعرفون قيمة القرآن، قيمة القرآن لا في تعابيره اللفظية ولا في بلاغته، صحيح ألفاظه لها قيمتها، وبلاغته لها قيمتها، صحيح كل ذلك، ولكن قيمة القرآن قيمة إيمانية، قيمة الإيمان في القرآن أعلى من قيمة العلم وأعلى من قيمة البلاغة والأدب وأعلى من قيمة كل شيء آخر، القرآن هو كتاب الإيمان، القرآن كتاب علم ولكنه ما هو بكتاب العلم، هو كتاب الإيمان، الإيمان أعلى رتبة من العلم، العلم ينطوي في أكناف الإيمان.

﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ﴾ ليس لقوم يعلمون، لقوم يؤمنون.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ تعبير دقيق جداً: استمعوا وأنصتوا، استماع وإنصات.

الاستماع هو أن الإنسان يتوجه بكل قدرته الإدراكية كي يحيط بإدراكه بالذي يستمع إليه.

أما الإنصات فهو تدبر، هو استماع عميق، هو تسليط الضوء بالكامل على الذي استمعنا إليه.

وهذا بحمد الله ما لا نفعله!! فالقرآن يقرأ في مجالسنا فلا نستمع ولا نُنصت، لماذا يأمرنا القرآن أن نستمع وأن نُنصت له؟ لماذا هذا الأمر في القرآن؟ القرآن لا يريد منا أن نتعامل معه على أنه ألفاظ، على أنه كلمات، على أنه أصوات، على أنه إدغام ومد، على أنه تجويد وترتيل، القرآن يريد منا أن نتعامل معه على أنه حقائق، والحقائق تُدرك في مثل شأن القرآن فهو ألفاظ وجمل نحتاج إلى استماع وإلى إنصات، والاستماع والإنصات لا يمكن أن يكون إلا في جو من الاحترام والتوقير للقرآن، علينا أن نحترم القرآن، أن نُوقِّره، وأن نستمع لصوته، وأن نُنصت إليه، والإنصات أخص وأدق من الاستماع، فالاستماع، حين أقول: أخص، أعني في الدلالة، وإلا هو أوسع في التطبيق، الإنصات قد يكون لشيء ليس مسموعاً وإنما نُنصت بكل جوارحنا لشيء ليس مسموعاً، قد يكون مقروءاً، نُنصت له، نُنصت لهذا الصوت الذي هو في هذه السطور، في هذه الكلمات، على أي حال، لا أريد أن أدخل في كل هذه التفاصيل اللغوية والبلاغية.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فبالاستماع والإنصات للقرآن قد تُفتَح لنا أبواب الرحمة، وأبواب الرحمة هنا، أبواب رحمة القرآن، أن ندرك الحقائق، أن تتكسر الأقفال عن قلوبنا، هذه الرحمة، الرحمة هنا في أجواء القرآن أن تتفتح بصائرنا.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ من الجهة الفقهية والفتوائية المراد في صلاة الجماعة، من الجهة الفقهية والفتوائية بحسب أحاديث أهل البيت: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) في الصلوات الجهرية إذا ما قرأ الإمام فيجب على المصلي من واجبات الصلاة أن يستمع وأن ينصت للإمام، بحسب روايات وأحاديث أهل البيت: في الصلوات الجهرية إذا ما قرأ الإمام فعلى المصلي أن يستمع وأن ينصت، أن يستمع وأن يتدبر.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فإن ذلك قد يكون سبباً أن تفتح أبواب الرحمة في وجوهكم أو لكم.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا﴾ خضوعاً وخشوعاً.

﴿وَخِيفَةً﴾ وخشية.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ اذكره بشكل خفي في نفسك.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ -هذا هو الذكر الخفي- تَضَرَّعًا وَخِيفَةً -واذكره بلسانك ولكن ليس بصوت عالٍ- وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ لَوْنَانِ مِنَ الذِّكْرِ: ذكر خفي، وذكر جهري، ولكن دون الجهر من القول الذي اعتاده الإنسان حين يجهر بقوله، الناس حينما يجهرون بالقول كما أتكلّم في هذه اللحظة في هذا البرنامج، هذا جهر بالقول ولكن حين يكون الذكر جهرياً فهو دون هذا المدى من الصوت.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً﴾ -تضرعاً؛ خضوعاً- وَخِيفَةً -خشية- وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الغدو هو الفجر، والإشارة إلى صلاة الفجر هنا، أو الفجر عموماً، الذكر عموماً، والآصال، الآصال ربما أطلقت على نهايات اليوم، يعني على الغروب، وإن كانت الآصال في اللغة جمع أصيل، والأصيل حينما تكون الشمس صفراء، حينما يكون الوقت قريباً من الغروب، يعني عند نهايات العصر.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

المراد الإجمالي للآية: اذكروا الله في كل أوقاتكم وبكل الأشكال، بشكل خفي، واذكر ربك في نفسك بنحو التضرع والتذلل أو بنحو الخيفة والخشية، واذكر ربك جهرياً ولكن ليس بهذا الصوت الجهري العالي، ودون الجهر من القول، أقل من هذا، بالغدو؛ في أوائل أيامكم، وبالأصال؛ في نهايات أيامكم، ولا تكونوا من الغافلين.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ هذه هي الآية الخامسة بعد المئتين.

بقيت عندنا آية واحدة وتنتهي سورة الأعراف وهي الآية السادسة بعد المئتين، و(كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَى) فالسورة سورة الأعراف، والأعرافُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ، ابتدأت بالبسملة التي نُقِطَتْهَا رَمَزٌ لِعَلِيٍّ، وبعد البسملة: ﴿الْمَص﴾ خُزَانَةُ أَسْرَارِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

وانتهينا بهذه الآية وهي الآية السادسة بعد المئتين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ مَنْ هُمْ؟ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ؟ لَأَنَّ سورة الأعراف من أولها إلى آخرها كانت تتحدَّث عن خَطِيئَةٍ: عن خطِّ الاستكبار، وعن خطِّ الولاء.

فَخَطُّ الاستكبار هو الخطُّ الشيطاني، والأَمَمُ عُدْبَتٌ وَقُضِيَ عَلَيْهَا باستكبارها.

والخطُّ الثاني هو خطُّ الولاء لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وهو خطُّ الأنبياء.

فَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ؟ الآية تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هناك مجموعة عند رَبِّكَ، هَؤُلَاءِ مَا هُمْ الملائكة كما يفسرونها المخالفون وعلمائونا ومراجعنا الأجلاء، أبدأ، هَؤُلَاءِ هُمُ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى فِي الدُّنْيَا هُمُ عِنْدَ رَبِّكَ، هُمُ مَتَى انفصلوا عن رَبِّكَ؟! هل يمكن أن نجد مقاماً من المقامات لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لَا يَكُونُونَ فِيهَا عِنْدَ اللَّهِ؟! (لَا تَسْبُوا عَلِيًّا فَإِنَّهُ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ) لَا تَسْبُوا عَلِيًّا، مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ، ذَاتٌ مَمْسُوسَةٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ، (لَا تَسْبُوا عَلِيًّا فَإِنَّهُ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ) هذا قولُ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ نَجِدَ مَقْطَعاً أَوْ مَقَاماً مِنْ الْمَقَامَاتِ لَا يَكُونُ فِيهَا مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ عِنْدَ رَبِّكَ، هُوَ يَقُولُ: (أَنَا عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي) هذا الكلام متى قاله؟ حينما حَرَّمَ عَلَى الْأُمَّةِ صِيَامَ الْوَصَالِ وَكَانَ هُوَ يَصُومُ صِيَامَ الْوَصَالِ، فحين قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ تَصُومُ صِيَامَ الْوَصَالِ، نُرِيدُ أَنْ نَصُومَ مِثْلَكَ، يَصِلُ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ مِنْ دُونِ إِفْطَارٍ، مَحْرَمٌ عَلَى الْأُمَّةِ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ، الْمُعْصُومُونَ يَصُومُونَ صِيَامَ الْوَصَالِ، فَمَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قَالَ: (أَنَا عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي) هُوَ عِنْدَ رَبِّهِ.

ماذا نقرأ في سورة الإنسان (في سورة الدهر): ﴿وَسَقَاهُمْ رَبَّهُمْ﴾ - رَبَّهُمْ سَقَاهُمْ ليس الملائكة - ﴿وَسَقَاهُمْ رَبَّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ - هذا لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ليس لغيرهم - ﴿وَسَقَاهُمْ رَبَّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ - نعم نحن يسقينا ربنا في الولاية من حوض الكوثر، علي يسقينا، هو الساقى على حوض الكوثر - ﴿وَسَقَاهُمْ رَبَّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ المقامات تتداخل، والوقت صار طويلاً ولا أدري ماذا أصنع بهذه الآيات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبَّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ كيف يسبحونه؟ كيف يسجدون؟ إنني لا أدري، هذه شؤون آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، (إِنَّ لَنَا مَعَ اللَّهِ حَالَاتٍ لَا يَسَعُنَا فِيهَا لَا نَبِيٌّ مَرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مَقْرَبٌ).

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وهذا أيضاً دون مقاماتهم، ولكن أحاديثهم أيضاً هي تجرّ أحاديثهم الأخرى، هو تزيين لأحاديثهم بأحاديثهم، فهم يزيّنون أنفسهم بأنفسهم، مثلما زين الله جنّانهم بهم، حين طلبت الجنة أن تزيّن فزيّنها الله بحسنيّ وحسين، فمأست كما تميس العرائس، فإني أزيّن أحاديثهم بأحاديثهم فتميس بين يدي كما تميس العرائس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ - كيف ذلك؟ لا أدري - وَيَسْبَحُونَهُ - كيف ذلك؟ لا أدري - وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ - فإني لا أدري، وغايته الإدراك أن أدري بأيّ لست أدري، لكنني أشير إلى آية في سورة أخرى:

في سورة الأنبياء في الآية التاسعة بعد العاشرة وفي الآية العشرين، ماذا تقول هاتان الآيتان من سورة الأنبياء؟ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ إمامنا الصادق يقول للمفضل: (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ، الْجَانُ، كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ، الْبَشَرُ، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) يَا مَفْضَلُ وَمَنْ عِنْدَهُ نَحْنُ).

كُلُّ شيء داخل في هذه الآية: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و"مَنْ" هنا للعاقل، كُلُّ مَنْ لديه عقل بدرجة عالية، كُلُّ المخلوقات عندها عقول حتى الجمادات ولكن بدرجات واطئة وإلا كيف تُسبح؟ (إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) لا تُسَبِّحُ المخلوقات والموجودات إلا بسبب عقلها وإدراكها، ولكن لِكُلِّ موجودٍ عقله بحسبه، (مَنْ) في الأدب العربي هي عن العقلاء، غير العقلاء يُقال: (ما).

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الكائنات ذات العقول العالية، كُلُّ الكائنات ذات العقول العالية، الملائكة، الجان، البشر وسائر المخلوقات الأخرى التي لا نعرفها في هذا الوجود الفسيح - وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ - "مَنْ عِنْدَهُ" هؤلاء هم آل محمد - لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.

هؤلاء هم هم الذين جاءوا في آخر سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبَحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ فهو غني عن عبادتنا، وبعبادتهم عبيد الله، (ولولانا ما عبد الله) لولاهم ما عبد الله، (وبنا عرف الله) ولولاهم ما عرف الله.

مخلص الكلام ما هو؟

كُلُّ ما تقدّم من التفاصيل لا يعدّ بشيء إذا وصلنا إلى هذه الآية، الأصل هنا، فإذا كان الأصل هنا: والذين عند الله هم هؤلاء، نتمسك بهم، باقي التفاصيل ليست مهمة، لأن الله لو كان يعبد بشيء لجعله عنده، هو يعبد بالذين عنده، وإذا كان الله يعبد بشيء فلأن الأشياء من شؤوناتهم، فما خلق خلقاً إلا لأجلهم، (يَا أَحْمَدُ خَلَقْتَكَ لِأَجْلِي) وكُلُّ شيء يعبد الله به لأنه من شؤونات هذه الحقيقة الأحمديّة المحمديّة، إذاً مربوط الحقائق هنا، لا أقول مربوط الفرس، أقول مربوط الحقائق هنا، عند مَنْ؟

عند هذا العنوان: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ، هنا هنا هنا، هنا البداية وهنا النهاية، (يَا أَبَا بَصِيرٍ هَلْ عَرَفْتَ إِمَامَكَ؟ قَالَ: إِي يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ) الإمام يسأله في المدينة: (يَا أَبَا بَصِيرٍ هَلْ عَرَفْتَ إِمَامَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ، قَالَ: حَسْبُكَ إِذَا) حَسْبُكَ إِذَا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ حسبي هنا، حسبي هنا وانتهينا، نهاية المطاف هنا، (وَرَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ) هنا، من أين وإلى أين؟ هنا.

كل التفاصيل التي مرت في سورة الأعراف بكل حقائقها، بكل تفاصيلها، شؤونات، إضافات، متعلقات، النقطة النهائية هنا، مسك الختام هنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لنكن مع هؤلاء، لنكن عند هؤلاء، مثلما هم عند ربهم لنكن عندهم.

أقول: لنكن عندهم، أعني في فنائهم، وإلا من نحن حتى نكون عندهم؟! لنكن في فناء عبوديتهم، لنكن صادقين ونحن نُخاطبُ الحُسين:

(عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمِّتِكَ الْمُقَرَّرَ بِالرَّقِّ وَالتَّارِكُ لِلْخِلَافِ عَلَيْكُمْ)..

وهذا عبدكم القن أنا.. زهراي أنا..
أختم حديثي بما أختمه في كل حلقة:

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي أَبِيائِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

وأعاهدك يا بقیة الله، أعاهدك أنني لن أعرف الصواب إلا بكم وإلا منكم..
وأبايعك يا أمير المؤمنين كما بايعتك من قبل: (أني لا آخذ التفسير إلا منك، وفقني، أعني وساعدني ومدني على أن أفي بشرطبيعة الغدير هذا لك)

يا زهراء..

في أمان الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

برنامج قرآنهم... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv